الفصل الخامس

الشعراء العشاق في العصر الأموي

obeikandl.com

obeikandl.com

الشعراء العشاق في العصر الأموي

مجنون ليلى

قيس بن الملوح بن مزاحم العامري، من عامر بن صعصعة المشهور بقيس ليلى أو مجنون ليلى، ولشهرة قيس وغزله وهيامه بليلى العامرية صار اسم ليلى رمزاً لكل معشوقة، حتى صار ينسب كل شعر فيه اسم ليلى إلى قيس أوالمجنون، ومن هنا شك بعض القدماء بوجود هذه الشخصية ، ففي حديث الرياشي عن الأصمعي قال : " رجلان ما عُرفا في الدنيا قط إلا بالاسم : مجنون بني عامر، وابن القريَّة ، وإنما وضعهما الرواة " (١) ، وعن ابن الكلبي قال : " حُدِّثتُ أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون، وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه" (٢)، وجاء بعض المتشككين في العصر الحديث فقالوا بهذا القول وبالغوا ونفوا شخصية المجنون ، على أن أصل قيس بن الملوح وقصته صحيحان وتوثقهما الروايات الكثيرة، وكذلك الشعر الذي قيل في تصوير حياة قيس وقصة حبه، ولا شك أن كثيراً من الأشعار قد أضيفت إليه، وأضيف إليه كثير من الشعر الذي فيه اسم ليلى، إلا أن الأصل صحيح ، وقصة قيس

---

(١)الأغاني ٢/ ٤ .

(٢) الأغاني ٢/ ٥ .

وليلى من أجمل وأروع قصص الحب العذري الطاهر العفيف الذي تغنى به الشعراء والعشاق على مدى العصور، ولم يقتصر أثر هذه القصة على الأدب العربي بل جاوزتها إلى الآداب الأجنبية.

أما بداية حب قيس لليلى فتبدأ منذ الطفولة والصبا، فقد هوي قيس ليلى بنت مهدي بن سعد العامرية من بني عامر بن صعصعة، وكنيتها أم مالك، كان قيس يرعى مواشي أهله وهو صبي، وكذلك كانت ليلى ترعى مواشي أهلها، فالتقيا وأحب كل منهما صاحبه وكانت ليلى صغيرة لم تظهر عليها علائم الأنوثة بعد، يقول قيس مبيناً عمر ليلى أول ما علقها : (١)

تعَلَّقْتُ ليلى وهي ذاتُ ذُؤابةٍ ولم يبدُ للأترابِ من ثديها حجْمُ

صغيرين نرعى البَهْمَ يا ليتَ أنَّنا إلى اليوم لم نكبَرْ ولم تكْبَرِ البَهْمُ

ونما الحب بينهما حتى كبرا فحجبت ليلى عنه، وصار لا يلقاها إلا على رقبة، وخافت ليلى أهلها والوشاة من قومها وكانت تظهر له البغض وحبه في أعماقها كي تبعد عنها نظر العذال والرقباء، وتقول في ذلك : (٢)

كلانا مظهرٌ للناسِ بُغضاً وكلٌّ عند صاحبه مكينُ

تُبَلِّغُنا العُيونُ بما أردنا وفي القلبينِ ثَمَّ هَوىً دفينُ

ولما عُرف حبهما وشاع وتناشد الناسُ شعر قيس في ليلى، خطبها قيس وبذل لها خمسين ناقةً حمراء، وخطبها وَرْد بن محمد العُقيلي، وبذل لها عشراً من الإبل وراعيها، فقال أهلها : نحن مخيِّروها بينكما، فمن اختارت تزوجتْه، ودخلوا إليها فقالوا: والله لئن لم تختاري ورداً لنُمَثِّلَنَّ بك،

---

(١)الأغاني ٢/ ١٢ .

(٢)الأغاني ٢/ ١٥ .

فاختارت ورداً فتزوجته على كُرْه منها.

وأُسْقِطَ في يد قيس فقد سُلبت منه حبيبته، وحُكم عليه بالعذاب والحرمان، وكاد قلبه ينخلع من بين جنبيه، واشتد وجده وخفقان قلبه حين علم برحيل ليلى :

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدى ... بليلى العامرية أو يُراحُ
قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تجاذبُهُ وقد علِقَ الجناحُ

وتبدأ مأساة قيس، ويزداد تعلقاً بها، وليس له إلا أن ينفس عن أشواقه وأحزانه بقول الشعر والشكوى مما يعاني، ويُمنَع من الوصول إليها أو التقرب من ديارها، ويُشكى إلى السلطان فيهدر دمه، وينكر على الناس أن يحرموه من النظر إلى ليلى أوالتحدث إليها، وقد هدده زوجها وأبوها وأوعدوه شراً وعدواناً :

ألا حُجِبَتْ ليلى وآلى أميرُها ... عليَّ يميناً جاهداً لا أزورُها
وأوعدني فيها رجالٌ أبوهمُ ... أبي وأبوها خُشِّنَتْ لي صُدُورُها
على غيرِ جُرْمٍ غيرَ أنِّي أُحبُّها ... وأنَّ فُؤادي رهْنُها وأسيرُها

ويهيم قيس في الصحاري والقفار، يتذكر أيام لقائه بليلى والمواضع التي التقيا بها، يرى صورة ليلى في وجوه الظباء والوحش، ويسمع صوتها يتردد بين الجبال والوديان، فيناجيها ويشتد بها غراماً وهياماً حتى جُنَّ، وقيل إنه لم يكن مجنوناً ولكن به لوثة، يقول يصور حاله وما يطرأ على عقله من انبهار : (١)

إذا ذُكِرتْ ليلى عَقَلْتُ وراجعتْ ... روائعُ عقلي من هوىً مُتَشَعِّبِ

---

(١) الأغاني ٢ / ١٩ .

وقالوا صحيحٌ ما به طيفُ جنَّةٍ ولا الهمُّ إلا بافتراء التكذُّبِ
وشاهدُ وجدي دمعُ عيني وحُبُّها بَرَى اللحمَ عن أحناءِ عظمي ومنكبي

وكلما زاد بعد ليلى ومُنع من القرب منها، كلما زاد شوقه وحنينه إليها ، وصار في حيرة من أمره لا يدري ما حلَّ به، وما ذنبه، وكيف يصنع، يقول واصفاً هذه الحيرة وهذا المصير :

فوالله ثم الله إني لدائبٌ أفَكِّرُ ما ذنبي إليها وأعجبُ
ووالله ما أدري علامَ قتلتني وأيَّ أُموري فيك يا ليلَ أركبُ
أأقطعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونَهُ أم اشربُ رَنْقاً منكمُ ليسَ يُشْرَبُ
أم اهربُ حتى لا أرى لي مُجاوراً أم اصنعُ ماذا أم أبوحُ فأُغْلَبُ
فأيَّهما يا ليلُ ما ترتضينَهُ فإنِّي لمظلومٌ وإنِّي لَمُعْتَبُ

وهام على وجهه في البراري ليس له أنيس غير هذا الوحش وطيور السماء، وكان يجد في سجع الحمام شجىً يذكره بحديث المحبين، فقد مرَّ قيس بواد في أيام الربيع وحمامُه يتجاوب فهاج حنينه وأنشد :

ألا يا حمامَ الأيكِ ما لكَ باكياً أفارقْتَ إلفاً أم جفاكَ حبيبُ
دعاكَ الهوى والشوقُ لَمَّا ترنمتْ هَتوفُ الضُّحى بينَ الغُصونِ طروبُ
تُجاوبُ وُرْقاً قد أذنَّ لصوتها فكُلٌّ لكُلٍّ مُسْعِدٌ ومُجيبُ

وكان في تجواله بهذه الفيافي يبحث عن المواضع التي كان ينزل بها أهل ليلى فيجد فيها الحنين والذكرى والسلوة، ويقف في الديار ويخاطبها ويتنسم ريحها، فتراه يخاطب جبلَي نعمان أن يُتيحا لريح الصَّبا أن تمرَّ خلالهما ليتنسم ريح ليلى فتعيد إليه الحياة :

أيا جبلي نعمانَ بالله خَلِّيا سبيلَ الصَّبا يخلُصْ إليَّ نسيمُها
أجِدْ بَرْدَها أو تَشْفِ مني حرارةً على كَبِدٍ لم يبقَ إلا صميمُها

فإنَّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسَّمتْ على نفْسِ محزونٍ تجلَّتْ هُمومُها

وكان حنينه إلى جبل التوباد شديداً، فقد كان وليلى وهما صبيان يرعيان غنماً لأهلهما عند هذا الجبل، فلما ذهب عقله وتوحش كان يجيء إلى هذا الجبل فيقيم به، ويتذكر أيامه وليلى في أكناف هذا الجبل فيبكي، وينادي الجبل ويحدثه كأنه إنسان وصديق، يستعين به ويسائله ويحاوره، ويطلب الرحمة مما يعاني من من همٍّ وبلاء : (١)

وأجهشْتُ للتوباد حين رأيتُهُ وكبَّرَ للرحمنِ حينَ رآني
وأذريتُ دمع العين لما عرفتُهُ ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلتُ له قد كان حولَكَ جيرةٌ وعهدي بذاكَ الصَّرم منذُ زمانِ
فقال مضَواواستودعوني بلادَهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثانِ
وإني لأبكي اليومَ من حَذَري غداً فراقَكَ والخَيَّانِ مُجْتمعانِ
سِجالاً وتهتاناً ووَبْلاً وديمَةً وسَحّاً وتَسْجاماً إلى هَمَلانِ

ويرجع قيس إلى نفسه ويتفكر في أمر ليلى، ويعجب من أمره، فقد ابتُلي بحبها وغيره يسعد بها وبامتلاكها، فما بيده حيلة، فهذا قضاء قُدِّر عليه :

خليليَّ لا واللهِ لا أملكُ الذي قضى اللهُ في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلاَّ بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

ولكن قلبه اختار ليلى ويأبى لها بديلاً، وحياته في هذا الحب، فهو حين تلمس يده ليلى تدب فيه الحياة، ويزدهر كما تزدهر أوراق الشجر :

أبى القلبُ إلا حُبَّهُ عامريَّةً لها كُنيةٌ عمروُ وليس لها عمرو
تكادُ يدي تَنْدى إذا ما لمستُها ويُنْبِتُ في أطرافِها الورقُ الخُضْرُ

---

(١)الأغاني ٢/ ٤٩ .

ويأخذه أبوه إلى مكة لعله يسأل الله سبحانه أن يشفيه مما به من عشق ليلى الذي أضر به وأضناه، وقال له أبوه : " تعلّق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى، " فتعلق بأستار الكعبة وقال : " اللهم زدني لليلى حُبّاً، وبها كَلَفاً، ولا تُنْسِني ذكرَها أبداً " . فهام حينئذ واختلط فلم يُضبط، وكان يهيم في البرية مع الوحش، وألِفَته الظباء والوحوش، فكانت لا تنفر منه .(١)

وتصادف أن رأى قيس وهو هائم في الفيافي حيّ ليلى راحلين، فوقع نظره على ليلى، فعرفها وعرفته، فصُعِقَ وخَرَّ مغشياً على وجهه، فأقبل فتيانٌ من حي ليلى فأخذوه ومسحوا التراب عن وجهه، وكانت ليلى قد أرسلت له جاريتها تبلغه السلام، وتفديه بنفسها وتشفق عليه مما هو فيه، ولا تملك أن تصنع له شيئاً وهي في عصمة زوج، فبكي قيس وصار يصف ليلى وما جره الحب عليه وما صار إليه :(٢)

أقولُ لأصحابي هي الشمسُ ضوءُها ... قريبٌ ولكنْ في تناوُلِها بُعْدُ
لقد عارَضَتْنا الريحُ منها بنَفْحَةٍ ... على كَبِدي من طيْبِ أرواحِها بَرْدُ
فما زِلْتُ مغْشِيّاً عليّ وقد مضَتْ ... أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلِّبُ بالأيدي وأهلي بعَوْلَةٍ ... يُفَدُّونني لو يستطيعونَ أنْ يَفْدُوا
ولم يبقَ إلا الجلدُ والعظمُ عارياً ... ولا عظمَ لي إنْ دامَ ما بي ولا جلدُ
وقد يُبتَلى قومٌ ولا كبليَّتي ... ولا مثلَ جَدِّي في الشقاء بكم جَد
غَزَتْني جُنودُ الحُبِّ من كلِّ جانبٍ ... إذا حانَ من جندٍ قُفُولٌ أتى جُنْدُ

---

(١)الأغاني ٢/ ٢٣ .

(٢)الأغاني ٢/ ٥٩ . الأناة: التمهل والانتظار. العَول : رفع الصوت بالبكاء . الجَد: الحظ . القفول : رجوع الجند بعد الغزو.

وهو في غمرة هواه وعشقه لليلى يراها أجمل النساء، وقد أرادته بعض نساء قومه أن يسلوَ عن ليلى، ويجد في النساء عوضاً عنها، وسألنه: ما أعجبك فيها؟ فقال: " كل شيء رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبني، والله ما رأيت شيئاً منها قط إلا كان في عيني حسناً، وبقلبي عَلقاً، ولقد جَهَدْتُ أنْ يقْبُحَ منها عندي شيء أو يسمج أو يعاب لأسلوَ عنها فلم أجده" ، فقلن له: فصفها لنا، فأنشأ يقول: (١)

بيضاءُ خالصةُ البياضِ كأنها قمرٌ توسطَ جُنْحَ ليلٍ مُبْرَدِ
موسومةٌ بالحُسْنِ ذاتُ حواسدٍ إنَّ الجمالَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
وتُرى مدامعُها تَرَقْرَقَ مُقْلةٍ سوداءَ ترغَبُ عن سواد الاثْمَدِ
خَوْدٌ إذا كَثُرَ الكلامُ تعوَّذَتْ بحمَى الحياءِ وإنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ

وسكن القفار وعاشر الوحوش وكان يرى ليلى في صورة كل حيوان جميل، يراها في الظبية فهي شبه ليلى، وتصادف أن رأى رجلين قد اصطادى ظبية فربطاها بحبل وذهبا بها، فلما رآها وهي حبيسة تنازع الحبال، بكى وقال للرجلين: خُلاَّها وخُذا مكانها شاةً من غنمي، فأعطاهما وفك إسارها فانطلقت تعدو مرعوبة، فقال في ذلك: (٢)

أيا شبْهَ ليلى لا تُراعي فإنَّني لك اليومَ من وحشيَّةٍ لَصَديقُ
ويا شَبْهَ ليلى لو تلَبَّثْتِ ساعةً لعلَّ فؤادي من جَواهُ يُفيقُ
تَفرُّ وقد أطلَقْتُها من وِثاقها فأنتِ لليلى لو علِمْتِ طليقُ

وأُتيح للمجنون رجل من عشيرته ذاهب إلى قوم ليلى، فسأله أتريد أن

---

(١) الأغاني ٢/ ٧٥ . مظنة الشيء: موضعه الذي يظن كونه فيه، الاثمد: حجر الكحل. الخَود: المرأة الشابة. تقصد: لم تجاوز الحد.

(٢) الأغاني ٢/ ٧٥ .

أبلغها شيئاً؟ قال: نعم. قفْ بحيث تسمعك ليلى ثم قلْ :(١)

اللهُ يعلمُ أنَّ النفسَ هالكةٌ باليأسِ منك ولكنِّي أُعَنِّيها
مَنَّيْتُك النفسَ حتى قد أضَرَّ بها واستَيْقَنَتْ خُلْفاً مِمَّا أُمَنِّيْها
وساعةً منكِ ألهوها وإنْ قَصُرَتْ أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها

فمضى الرجل ولم يزل يرقب خلوة حتى وجدها، فوقف عليها وقال: يا ليلى لقد أحسن الذي يقول، وأنشد الأبيات، فبكت ليلى بكاء طويلاً ثم قالت : أبلِغْهُ السلام وقل له :

نفسي فداؤكَ لو نفسي ملكتُ إذاً ما كان غيرُك يَجْزيها ويُرضيها
صبراً على ما قضاهُ اللهُ فيكَ على مرارةٍ في اصطباري عنك أُخْفيها

فلما أُبلِغَ قيس بالبيتين بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق وهو يقول :

عَجِبْتُ لعروةَ العُذْريِّ أضحى أحاديثاً لقومٍ بعدَ قومِ
وعروةُ ماتَ موتاً مستريحاً وها أنا ميِّتٌ في كلِّ يومِ

وظل قيس هائماً في البراري يعيش بين الوحوش ويأنس بها، وافتقده أهله مدة فلم يروه، فبحثوا عنه فوجدوه ميتاً في واد كثير الحجارة ، فاحتمله أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه، وخرج فتيان الحي وفتياتهم يبكونه أحر بكاء، وكان من جملة الباكين النادمين عمه، قيل : فما رُئي يومٌ كان أكثر باكياً وباكية على ميت من يومئذ. وكانت وفاته سنة ٦٨ هـ، وقيل سنة ٧٠هـ . (٢)

---

(١)الأغاني ٢ / ٧٦ . أُعَنِّيها: أكلفها ما يشق عليها. الخلف: إخلاف العهد .
(٢)الأعلام للزركلي٦/ ٦٠، تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان ١/ ١٩٤ .

وهكذا طويت حياة قيس، وطوي معها العذاب، ولكن بقيت قصة العاشقَين تُروى وتُنشد على مرور الزمان، وصار اسم قيس رمزاً لكل عاشق متيم ، وصار اسم ليلى رمزاً لكل محبوبة، وقد كان لقصة مجنون ليلى صداها في الآداب العالمية فنظمها شعراً شعراء الفرس والترك والهند، نذكر من هؤلاء الشعراء الذين عنوا بها ونظموها في الأدب الفارس: نظامي الكنجوي، وسعدي الشيرازي، والأمير خسرو الدهلوي، وعبد الرحمن الجامي، ومن شعراء الأدب التركي : فضولي البغدادي،(١) بالإضافة إلى المسرحيات الشعرية العربية، ومنها مسرحية أحمد شوقي .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: الحب العذري ـ كامل الشيبي ص ٧٠ ـ ٧٢ ط دار المناهل، بيروت ١٩٩٧ .

قيس ولبنى

هو قيس بن ذريح بن سُنَّة بن حذافة الكناني المتوفى سنة ٦٨ هـ ، أحب لبنى بنت الحُباب الكعبية الخزاعية، وكان أول صلة قيس بلبنى على ما يذكر صاحب الأغاني (١) :أنه مر لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمة منها والحي خلوف (٢)، والخيمة خيمة لبنى، فاستقى ماء فسقته وخرجت إليه ، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء(٣) حلوة المنظر والكلام، فلما رآها وقعت في نفسه، فلما شرب الماء قالت له : أتنزل فتتبرَّد عندنا ؟ قال : نعم ، فنزل بهم وجاء أبوها فنحر له وأكرمه ، وانصرف قيس وفي قلبه من لبنى حَرٌّ لا يُطفأ، فجعل يقول الشعر متغزلاً بها، ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها، فسلم فظهرت له وردت سلامه وتحفَّتْ به ، فشكا إليها ما يجد بها وما يلقى من حبها، وشكت إليه مثل ذلك وأطالت، وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه، وانصرف إلى أبيه وأعلمه ما يجد من حب لبنى، وسأله أن يزوجه إياها، فأبى عليه أبوه وقال : عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك، وكان أبوه ذريح كثير المال موسراً، فأحبَّ ألا يخرج ابنه إلى غريبة، وحزن قيس وقد ساءه ما سمع من أبيه، فأتى أمه فشكا ذلك إليها ، واستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها مايحب، فالتجأ

---

(١)الأغاني ٩/٢١٢ .

(٢)خلوف : أي غُيَّب، وقد خرج الرجال وبقي النساء .

(٣)أي يخالط سواد عينيها زرقة .

إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان قيس رضيعَ الحسين ، فشكا إليه ما يجد من حب لبنى، وما كان من رد أبيه وأمه، فتعهد له الحسين أن يكفيه هذا الأمر، فمشى معه إلى ذريح فاستجاب له ثم خطبوا لبنى من أبيها فاستجاب إكراماً للحسين، وتم زواج قيس ولبنى، وعاشا سعيدين بحبهما، وكان قيس باراً بأبيه وأمه، وقد رأت أمه أن لبنى قد شغلت قيساً وملأت حياته، فحنقت عليها، وكان قيس قد مرض مرضاً شديداً، فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه : لقد خشيت أن يموت قيس وما يترك خلفاً، وقد حُرم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذو مال فيصير مالك لغير نسلك ، فزوِّجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً، وألحت عليه في ذلك، فاقتنع أبوه برأي أمه وعرض على قيس أن يتزوج بامرأة أخرى لتهب له الولد، فأبى قيس ولم يرض أن يسيء إلى لبنى بشيء، وزاد إلحاح الأم على طلاق لبنى التي لا تنجب، واقتنع ذريح وأقسم على قيس أن يطلق لبنى، وازداد أبوه عناداً وازداد قيس تمسكاً بلبنى، وحلف أبوه ألا يُكنَّه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى، فكان يخرج فيقف في حرِّ الشمس، ويجيء قيس فيقف إلى جانبه فيظله بردائه، ويصلى هو بحر الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه، فيدخل إلى لبنى فيعانقها ويبكي وتبكي وتتوسل إليه أن لا يطلقها فيهلكان معاً، ومكث قيس على هذه الحال، حتى اجتمع قومه فلاموه وزينوا له طلاق لبنى براً بأبويه، فطلقها، ثم ندم واستطير عقله وذُهِبَ به ولحقه مثل الجنون (١) ، ويذكر لبنى وحالها معه فيأسف ويبكي وينشج أشد نشيج ، وبلغها الخبر، فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، وأقبل أبوها

---

(١)الأغاني ٩/ ٢١٥ .

بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها، فلما رأى ذلك قيس ذهب إلى خباء لبنى ليسألها فمنعه قومها، فأقبلت عليه امرأة من قومه فعنفته قائلة : ويحك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل، هذه لُبنى ترتحل الليلة أو غداً، فسقط مغشياً عليه لا يعقل، ثم أفاق وهو يقول : (١)

وإني لَمُفْنٍ دمعَ عينيَ بالبُكا حذارَ الذي قد كانَ أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعدَ ذاكَ بليلةٍ فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أنْ تكونَ منيتي بكفَّيْكِ إلا أنَّ ما حانَ حائنُ

وبقي حزيناً نادماً أسفاً يلوم نفسه على طلاقها ويتشوق إلى لبنى وقد أخذه السقم والضنى، يقول واصفاً حاله وندمه على فراق حبيبته مكرهاً وقد أطاع في ذلك الخصوم والشامتين : (٢)

يقولونَ لُبنى فتنةٌ كنتَ قبلَها بخيرٍ فلا تندمْ عليها وطلِّقِ
وطاوعتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي وأقررْتُ عينَ الشامت المتخلِّقِ
وددْتُ وبيت الله أنِّي عَصيتُهم وحُمِّلْتُ في رضوانها كلَّ موبقِ
وكُلِّفْتُ خوضَ البحرِ والبحرُ زاخرٌ أبيتُ على أثباجِ موجٍ مُغَرِّقِ
كأني أرى الناسَ المحبينَ بعدها عُصارةَ ماء الحنظلِ المتفَلِّقِ
فتُنْكِرُ عيني بعدَها كُلَّ منظرٍ ويكرهُ سَمعي بعدَها كلَّ منطقِ

وسقط غراب قريباً من قيس وجعل ينعق مراراً فتطير وعلم أنه ينبىء برحيل لبنى ومفارقتها، وكاد يصعق ويفقد وعيه، وصار يلعن الغراب ويذمه

---

(١) ديوان قيس لبنى ص ١٤٨ تحقيق عفيف حاطوم، ط دار صادر، بيروت ١٩٩٨، الأغاني ٩/ ٢١٦ .

(٢)الديوان ص ٨٣، الأغاني ٩/٢١٦ . المتخلق: الذي يتكلف ما ليس في خلقه. الموبق: المهلك .

فهو نذير شؤم ينبيء بشر : (١)

لقد نادى الغرابُ ببَيْنِ لُبْنى فطار القلبُ من حَذَرِ الغرابِ
وقال غداً تُباعدُ دارُ لُبنى وتنأى بعدَ وُدٍّ واقترابِ
فقلتُ تَعِسْتَ ويحَكَ من غُرابٍ وكانَ الدهرَ سعيُكَ في تَبابِ

وترحل لبنى ويبقى قيس حيران أسفاً لا يستطيع اللحاق بها فأهلها مانعوه، ولا يملك إلا النظر في آثار لبنى وموضع قدمها، فراح يخفف لوعة قلبه بتقبيل آثارها وتعفير وجهه بترابها، وقد لامه قومه على ما يفعل وعنفوه فكان جوابه : (٢)

وما أحبَبْتُ أرضَكمُ ولكن أُقَبِّلُ إثْرَ من وَطِىء التُّرابا
لقد لاقيتُ من كَلَفي بلُبْنى بلاءً ما أُسيْغُ بـه الشرابا
إذا نادى المنادي باسمِ لُبنى عَيِيْتُ فما أُطيقُ له جوابا

وبقي بعد رحيل لبنى والهاً فاقد العقل والإرادة حائراً لا يدري ماذا يصنع وقد يئس من وصالها، فلا يملك إلا أن يعزي نفسه ويتمنى أن يصبر ويتحمل ما يعانيه من شوق وضنى : (٣)

كأني والـهٌ بفراقِ لُبنى تهيمُ بفَقْدِ واحدها ثكولُ
ألا يا قلبُ وَيْحَكَ كن جليداً فقد رحلتْ وفاتَ بها الذميلُ
فإنَّكَ لا تُطيقُ رجوعَ لُبنى إذا رحلتْ وإنْ كَثُرَ العويلُ
وكم قد عِشْتُ كم بالقُرْبِ منها ولكنَّ الفِراقَ هو السبيلُ

---

(١)الديوان ص ٢٦ . الأغاني ٩/٢١٦ .
(٢) الديوان ص ١٩ ـ ٢٠ .الأغاني ٩/٢١٧ .
(٣)الديوان ص ١٠٠ ـ ١٠١ . الأغاني ٩/ ٢١٨ . الذميل: ضرب من سير الإبل فيه سرعة .

فصبراً كلُّ مؤتلفَيْنِ يوماً من الأيامِ عيشُهما يزولُ

ويحاول التصبر ولكن هيهات فكل أمور الدنيا هينة إلا فرقة الأحباب :

وكلُّ ملماتِ الزمانِ وجدتُها سوى فرقة الأحبابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ

وكان يحاول الوصول إليها، ويحوم حول حماها، معرضاً نفسه للمخاطر، فلقيها يوماً فعاتبته بأنها تخشى عليه البلاء، وتخشى على نفسها الفضيحة قائلة : "يا هذا، إنَّك متعرضٌ لنفسك وفاضحي " فقال لها مصوراً حاله وما هو فيه من وجد وشوق وبلاء : (١)

صدَعْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه هواكِ فليمَ فالتأمَ الفطورُ

تغلْغَلَ حيثُ لم يبلغْ شرابٌ ولا حزنٌ ولم يبلغْ سرورُ

وشعرت أم قيس بالذنب الكبير الي اقترفته نتيجة غيرتها من لبنى فعملت على التفريق بينهما، وحاولت أن تجعله يتعزى عنها ويسلوها بالنظر إلى فتيات الحي، فأرسلت إليه فتيات من قومه يعِبنَ لبنى ويُلمنه على جزعه وبكائه وما صنع بنفسه، وجعلن يمازحنه ويتعرضن لوصاله، وهو ساه عنهن ، فلما أطلن أقبل عليهن وقال : (٢)

يقَرُّ بعيني قربُها ويزيدني بها كَلَفاً من كان عندي يعيبُها

وكم قائلٍ قد قال تُبْ فعَصَيْتُهُ وتلكَ لعَمْري توبةٌ لا أتوبُها

فيا نفسُ صبراً لستِ واللهِ فاعلمي بأولِ نفسٍ غابَ عنها حبيبُها

وساءت حال قيس وعاده الطبيب، ودخل أبوه يؤنبه على ما فعل بنفسه من حب لبنى، وقال له : يا بُنَيَّ ! اللهَ اللهَ في نفسك! فإنَّك ميِّتٌ إنْ دمتَ

---

(١)الديوان ص١٢٥ ، الأغاني ٩/ ٢٢١ .

(٢) الديوان ص ٣٠ ، الأغاني ٩/ ٢٢٤ .

على هذا ، فقال يجيبه :(١)

وفي عروة العُذريِّ إنْ مُتُّ أُسْوَةٌ وعمرو بن عجلانَ الذي قتلتْ هندُ
وبي مثلُ ما ماتا بـه غيرَ أنَّني إلى أجلٍ لم يأتني وقتُهُ بعدُ

وحاول أهله أن يزوجوه ليسلو عن لبنى فما أفلح سعيهم، وتزوجت لبنى ، وجن جنون قيس وظل يُلِمُ بديارها حتى شكوه إلى السلطان فأهدر دمه ، وزاد تعلقه بلبنى وظل قيس يبكيها على البعد ويندب حظه على شاكلة قوله : (٢)

إلى الله أشكو فَقْدَ لُبْنى كما شكا إلى الله فقدَ الوالدينِ يتيمُ
يتيمُ جفاهُ الأقربونَ فجسمُهُ نحيلٌ وعهدُ الوالدينِ قديمُ
بكتْ دارُهم من نأيهم فتهلَّلتْ دموعي فأيَّ الجازعينَ ألومُ
أمستَعْبِراً يبكي من الشوقِ والهوى أم آخرَ يبكي شجوَهُ ويهيمُ

وقد تمكن حب لبنى من قلبه فصار بعضاً من كيانه لا فكاك له في الحياة ولا بعد الموت، فكأن حب لبنى كان قدراً من الأقدار لا يد له فيه : (٣)

تعلَّقَ روحي روحَها قبلَ خلْقنا ومن بعد ما كنَّا نطافاً وفي المهدِ
فزادَ كما زِدْنا فأصبحَ نامياً وليس إذا مُتْنا بمُنْصَرِمِ العهدِ
ولكنه باقٍ على كلِّ حادثٍ وزائرُنا في ظُلمةِ القبرِ واللَّحْدِ

وقيل إن لبنى أرسلت رسولاً إلى قيس تعلمه ما جرى من هدر دمه، وتحذره، فقال قيس يصف حاله بعد فراق لبنى، وما يعانيه من شوق إليها وصبابة بها، وما كانا فيه من سعادة ونعيم حتى تعرض الواشون وفرقوا

---

(١)الديوان ص ٤٣ ، الأغاني ٩/٢٢٧ .
(٢)الديوان ص ١٤٤ـ١٤٦، الأغاني ٩/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ .
(٣)ديوانه ص ١٢٣ ، الأغاني ٩/٢٢٦ .

بينهما : (١)

فإنْ يحجبوها أو يَحُلْ دونَ وصلها مقالـةُ واشٍ أو وعيدُ أميرِ
فلن يمنعوا عينَيَّ من دائم البُكا ولن يُذهبوا ما قد أجَنَّ ضميري
إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومن حُـرَقٍ تعتادُني وزفيرُ
ومن حُـرَقٍ للحبِّ في باطنِ الحشى وليلٍ طويلِ الحزنِ غير قصيرِ
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ بكاءَ حزينٍ في الوثاقِ أسيرِ
وكُنَّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأنعمِ حـالَيْ غِبْطَةٍ وسرورِ
فما برِحَ الواشونَ حتى بدَتْ لهم بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورِ
لقد كنتِ حَسْبَ النفسِ لو دامَ وصلُنا ولكنَّما الدنيا متاعُ غرورِ

وكان قيس يتحين الفرص ليرى لبنى وينظر إليها من بعيد، فيبهت ويتحير، رآها في الحج وكان يرحل إلى ديارها متخفياً ويرسل لها التحايا مع من يزرنها من النساء، وكان يتخيلها ويراها في اليقظة والمنام ، فكثيراً ما يتناوم كي يرى طيفها فيطفيء حرارة الشوق ولذع الجوى، يقول :(٢)

وإني لأهوى النومَ في غير حينه لعلَّ لقاءً في المنامِ يكونُ
تحدثني الأحـلامُ أني أراكمُ فيا ليتَ أحلامَ المنامِ يقينُ
شهدتُ بأنِّي لم أحُلْ عن مودَّةٍ وأني بكم لو تعلمينَ ضنينُ
وأنَّ فؤادي لا يلينُ إلى هوى سواكِ وإنْ قالوا بلى سيلينُ

وبقي قيس على هذا العذاب حتى كانت نهايته، وقيل إن قيساً توفي قبل لبنى، فلما بلغها خبر موته ماتت أسفاً عليه، وقيل بل ماتت لبنى قبله

---

(١) الديوان ص٥١ ، الأغاني ٩ / ٢٣٣ .
(٢)الديوان ص ١٥٠ ، الأغاني ٩/ ٢٤٦ .

ومات قيس بعدها أسفاً عليها، قالوا : ماتت لبنى، فخرج قيس ومعه جماعة من أهله فوقف على قبرها فقال : (١)

ماتت لُبينى فموتُها موتي هل تنفَعَنْ حسرةٌ على الفَوْتِ

وسوفَ أبكي بكاءَ مكتَئِبٍ قضَى حياةً وَجْداً على ميْتِ

ثم أكَبَّ على على القبر يبكي حتى أُغمي عليه، فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يُجيب مُكَلِّماً ثلاثاً، حتى مات فدُفِن إلى جنبها .

---

(١)الديوان ص ٣٥ ، الأغاني ٩ / ٢٥٢ .

obeikandl.com

جميل بثينة

من أشعر الشعراء العذريين وأجودهم شعراً، وهو من بني عذرة ، فهو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث العذري المتوفى سنة ٨٢ هـ ، شاعر فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية، كان راوية هدبة بن خَشْرَم ، وكان هدبة شاعراً راوية للحطيئة، وكان الحطيئة راوية لزهير وابنه كعب ، وكان كثَيِّر عزة راوية لجميل بن معمر (١) .

أحب جميل بثينة بنت حبا بن ثعلبة العذرية تلتقي في النسب مع جميل في جدهم حُنٍّ بن ربيعة، وكان أول صلته ببثينة على ما يروي الأصفهاني (٢) : أن جميلاً كان ينسب بأُمِّ الجُسَيْر، وكان أول ما علق بُثَيْنَةَ أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له بغيض، فاضطجع فأرسل إبله مصعدة، وأهل بثينة بذنب الوادي، فأقبلت بثينة وجارةٌ لها واردتين الماء، فمرتا على فِصالٍ له بروك فنفَّرتهنَّ بثينة، وهي إذ ذاك جويرية صغيرة ، فسبَّها جميل ، فافترت عليه، فملح إليه سبابها، فقال :

وأول ما قاد المودةَ بيننا بوادي بغيضٍ يا بُثَيْنَ سِبابُ
وقلنا لها قولاً فجاءتْ بمثله لكلِّ كلامٍ يا بُثَيْنَ جوابُ

وتوثقت المودة بين جميل وبثينة وكا يتعرض لها ويزورها وهي مع جوار معها، وكان أن خرج جميل في يوم عيد، والنساء إذ ذاك يتزيَّنَّ ويبدو

---

(١)الأغاني ٨/٩٧ .
(٢)الأغاني ٨/ ١٠٣ .

بعضهن لبعض ويبدون للرجال، وأن جميلاً وقف على بثينة واختها أم الجُسَيْر في نساء من بني الأحبِّ، فرأى منهن منظراً وأعجبنه، وعشق بثينة وقعد معهن، ثم راح وقد كان معه فتيانٌ من بني الأحَبِّ، فعلم أن القوم قد عرفوا في نظره حُبَّ بُثينة ووجدوا عليه ، فراح وهو يقول : (١)

عَجِلَ الفراقُ ولَيْتَهُ لم يعْجَلِ وجرتْ بوادرُ دَمْعكَ المتهَلِّلِ
طرباً وشاقَكَ ما لقيتَ ولم تَخَفْ بينَ الحبيبِ غداةَ بُرقةَ مجْوَلِ
وعرفتَ أنكَ حينَ رُحْتَ ولم يكن بعدُ اليقينُ وليس ذاكَ بمشكلِ
لن تستطيعَ إلى بُثينةَ رجعَةً بعد التفرُّقِ دونَ عامٍ مُقْبِلِ

وكان جميل يواعد بثينة فيلتقيان ويتحدثان في غفلة من الأهل والوشاة وقد واعدها يوماً ولم تحضر لأمر رابها ، فكانت النساء معه يلمنه ويرمين بثينة بالغدر والكذب، ويُحَسِّنَّ إليه غيرها ، فكان يرد عليهن ويصف محاولتهن في الإيقاع بينه وبين بثينة، ويلتمس لها العذر : (٢)

أبُثَيْنَ إنَّك قد ملكْتِ فأسجحي وخذي بحظكِ من كريمٍ واصلِ
فأجبتُها في القولِ بعدَ تستُّرٍ حُبِّي بثينةَ عن وصالكِ شاغلي
فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها بالجدِّ تخلطُهُ بقولِ الهازلِ
لو كان في صدري كقَدْرِ قُلامةٍ فَضْلاً وصلتُكِ أوأتَتْكِ رسائلي

ويحكي حجج النساء في لومه في حب بثينة، ويصور غيرة النساء وحسدهن لبثينة ورده عليهن من تمكن حبها في قلبه :

ويقلنَ إنكَ قد رضيتَ بباطلٍ منها فهل لكَ في اجتنابِ الباطلِ

---

(١)الديوان ص ١٩١ شرح أحمد عدرة ط عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦، الأغاني ٨/ ١٠٤ . برقة مجول : موضع في ديار بني عذرة .

(٢)الديوان ص ١٨٨، الأغاني ٨/ ١٠٥ ، اسجحي: ارفقي وسهلي .

ولَباطلٌ ممَّا أُحبُّ حديثَهُ أشهى إليَّ من البغيض الباذلِ
ليُزِلْنَ عنكِ هوايَ ثم يصِلْنَني وإذا هويتُ فما هوايَ بزائلِ

ويعتب على بثينة هجرها وبعادها :(١)

صادتْ فؤادي بابثينَ حبالُكم يومَ الحَجون وأخطأتك حبائلي
منيتِني فلويْت ما منَّيْتِني وجعلت عاجلَ ماوعدتِ كآجلِ
وتثاقلتْ لما رأت كَلَفي بها أحببْ إليَّ بذاكَ من متثاقلِ
وأطعتِ فيَّ عواذلاً فهجرْتني وعصَيْتُ فيك وقد جهَدْنَ عواذلي
حاولْتَني لأبُتَّ حبلَ وصالكم مني ولستُ وإنْ جَهَدْنَ بفاعلِ
ويقلنَ إنَّك يا بثينَ بخيلةٌ نفسي فداؤك من ضنينٍ باخلِ

وكان جميل حين عشق بثينة يقول فيها الأشعار حتى اشتهر، وقد خطبها من أهلها فمنع منها، وتزوجت بثينة وكان يأتيها خفية، فلما عُلم بأمره شكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن ألَمَّ بأبياتها أو عاود زيارتها، فضاقت الدنيا بجميل وصار يحن إليها ويشتاق للقائها، فكان يخفف من وجده بها أن يصعد في الليل على أكمة رمل يتنسم الريح من نحو حي بثينة ويقول : (٢)

أيا ريحَ الشمالِ أما تَرَيْني أهيمُ وأنَّني بادي النحولِ
هبي لي نسمةً من ريحِ بَثْنٍ ومُنِّي بالهُبوب على جميلِ
وقولي يا بُثينةُ حَسْبُ نفسي قليلُك أو أقَلُّ من القليلِ

فاذا وضح الصبح انصرف. ويقال: إن بثينة كانت تقول لجوارٍ من الحي

---

(١)الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .

(٢)الديوان ص ١٩٢ ـ ١٩٣، الأغاني ٨: ١١٦ .

عندها : ويحكنَّ ! إني لأسمعُ أنينَ جميل من بعض القيران (١)فيقلن لها : اتقي الله ! فهذا شيء يخيله لكِ الشيطان .

وكان الأهل والناصحون المشفقون يلومونه في هذا الحب الذى أوقعه في المهالك، فيرد عليهم بأن هذا قدره ونصيبه وأن حب بثينة كتب عليه وهو راض بما قدر الله عليه : (٢)

لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابة حبيبٌ إليه في نصيحته رشدي
وقال أفِقْ حتى متى أنتَ هائمٌ ببثنةَ فيها لا تُعيدُ ولا تُبْدي
فقلتُ له فيها قضى اللهُ ماترى عليَّ وهل فيما قضى اللهُ من رَدِّ

وآفة العشاق العذريين هؤلاء الوشاة الذين يتربصون بالمحبين فيثيرون حولهم زوبعة من الأقاويل، ولكن أفاعيل الوشاة والعذال كانت تزيد جميلاً تعلقاً ببثينة وصبابة بها:(٣)

وما زادني الواشون إلا صبابةً ولا زادني الناهون إلا تماديا

نعم هو يحبها ويتعلق بها ولا ينكر ما يقوله هؤلاء الوشاة :(٤)

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إنني لك وامقُ
نعم صدق الواشون أنت كريمةٌ علينا وإنْ لم تصْفُ منكِ الخلائقُ
يضُمُّ عليَّ الليلُ أطباقَ حُبِّها كما ضَمَّ أزرارَ القميصِ البنائقُ

ولكنه لا يخفي ضيقه بهؤلاء الوشاة فهو يبغضهم ويتمنى لهم العذاب الدائم والموت الزؤام : (٥)

---

(١)جمع قارة وهي الأكمة من الرمل .

(٢) الديوان ص ٦٩ .

(٣)الديوان ص٢٣٩ .

(٤) الديوان ص ٢٥٧ .

(٥) الديوان ص ٥٩ .

فليتَ وشاةَ الناسِ بيني وبينها يدوفُ لهم سُمّاً طماطمُ سودُ
وليتهمُ في كل مُمسى وشارق تُضاعَفُ أكبالٌ لهم وقيودُ

وظل جميل يتشوق إلى بثينة ويتمنى لقاءها ويتذكر أيام الصفاء حين يلقاها ويتبادلان أحاديث الحب والوجد والهوى، ويحن إلى الديار، ديار الحبيبة، ويستعيد ذكريات الماضي السعيد، بعد أن أُبعد عنها ورحل إلى مصر، ويصف حاله وما صار إليه من ألم الهجر والبعاد : (١)

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة بوادي القُرى إني إذاً لسعيدُ
وهل ألقَيَنْ فرداً بثينةَ مرةً تجودُ لنا من ودِّها ونجودُ
عَلقْتُ الهوى منها وليداً فلم يزلْ إلى اليوم يَنْمي حُبُّها ويزيدُ
وأفنيتُ عمري بانتظاريَ وعْدَها وأبليتُ فيها الدهرَ وهو جديدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حبُّها فيما يبيدُ يبيدُ

ويتذكر لحظات الوداع حين كان قاصدا مصر وقد مُنِع من الإلمام بديارها أو زيارتها، وما كانت تعانيه من الوجد، وما كان يعانيه من الشوق والعذاب فيقول :

وما أنسَ م الأشياء لا أنسَ قولها وقد قَرَّبتْ نضْوي أمصرَ تُريدُ
ولا قولها لولا العيونُ التي ترى لزرتُكَ فاعذرْني فدَتْكَ جُدودُ
خليليَّ ما ألقى من الوجد قاتلي ودمعي بما قلتُ الغَداةَ شهيدُ
يقولون جاهد يا جميلُ بغزوةٍ وأيُّ جهادٍ غيرَهُنَّ أُريدُ
لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ عندهنَّ شهيدُ

ويذكر ما كان بينهما من حديث ومحاورة وشوق وما يعانيه من حبها من

---

(١) الأغاني ٨ / ١٠٩ ــ ١١٠ .

عنت وضنى، ومع كل هذا الحرمان والمعاناة فهو يتمنى ويأمل أن يكون الفرج قريباً ذات يوم ويتم اللقاء وتُطفأ نيران الشوق وحرارة الهيام والجوى :(١)

إذا قلتُ ما بي يا بثينة قاتلي من الحب قالت ثابتُ ويزيدُ
وإنْ قلتُ رُدِّي بعضَ عقلي أعشْ به مع الناسِ قالتْ ذاكَ منكَ بعيدُ
ألا قد أرى والله أنْ رُبَّ عبرةٍ إذا الدارُ شطَّتْ بيننا ستزودُ
إذا فكَّرَتْ قالتْ قد ادركتُ وُدَّهُ وما ضرَّني بُخلي فكيف أجودُ
فلو تُكْشَفُ الأحشاءُ صودفَ تحتها لبَثْنَةَ حُبٌّ طارفٌ وتليدُ
تذكِّرُنيها كلُّ ريحٍ مريضةٍ لها بالتلاعِ القاوياتِ وئيدُ
وقد تلتقي الأشتاتُ بعدَ تفَرُّقٍ وقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهي بعيدُ

وكان مع هذا الحرمان والشوق الشديد إلى رؤياها ومحادثتها، يتمنى بصيصاً من أمل في وعد باللقاء، وإن كان هذا الوعد بعيداً لا تفي به، ولكنه يأمل ويتمنى ولو بنظرة من بعيد :(٢)

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لقرَّت بلابلُهْ
بلا وبأن لا أستطيعُ وبالمنى وبالأملِ المرجوِّ قد خاب آملُهْ
وبالنظرة العجلى وبالحَولِ تنقضي أواخرُهُ لا نلتقي وأوائلُهْ

وظل جميل يذكر بثينة ومكانها من نفسه وما يصيبه من الشوق والوجد حين يذكرها، وتنهمر دموع عينيه شوقاً إليها وحنيناً إلى رؤيتها وسماع أحاديثها :(٣)

---

(١)ترود: تذهب وتجيء، أي تحير ماء العين فيها. القاويات : الخاليات . الوئيد: الصوت العالي القوي .

(٢)البلابل: جمع بلبال، وهو شدة الهم والوسواس .

(٣) الديوان ص ١٢٩، الأغاني ٨/ ١٢٤ . ميعة الحب: شدته .

لها في سواد القلب بالحُبِّ مَيْعَةٌ هي الموتُ أو كادتْ على الموت تُشْرِفُ
وما ذكرَتْكِ النفسُ يا بَثْنَ مرةً من الدهر إلا كادت النفسُ تَتْلَفُ
وإلا اعترتني زفرةٌ واستكانةٌ وجادَ لها سَجْلٌ من الدمع يذرفُ
وما استطرفتْ نفسي حديثاً لخُلَّةٍ أسَرَّ بـه إلا حديثُك أطـرَفُ

وكانت وفاة جميل بمصر ويقال إنه أوصى صاحباً له أن يلبس حلته ويأتي قوم بثينة وينشد هذه الأبيات : (١)

صدع النَّعيُّ وما كَنَى بجميلِ وثوى بمصرَ ثَواءَ غير قُفولِ
ولقد أجُرُّ الذيل في وادي القُرى نشوانَ بينَ مزارعٍ ونخيلِ
قُومي بثينةُ فاندُبي بعويلِ وابكي خليلَك دونَ كلِّ خليلِ

فلما سمعت بثينة هذه الأبيات صاحت بأعلى صوتها وصكَّت وجهها ، واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندُبْنَهُ حتى صَعِقَت بثينة فمكثت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وهي تقول : (٢)

وإنَّ سُلُوي عن جميلٍ لساعةٌ من الدهر ما حانتْ ولا حانَ حِيْنُها
سواءٌ علينا يا جميلُ بنُ معْمَرٍ إذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولِينُها

وكثر الباكون والباكيات عليه يومئذ . وهكذا انطوت صفحة شاعر ملأ الدنيا بشعره في حب بثينة الحب العذري الطاهر العفيف .

---

(١) الديوان ص ١٩٣، الأغاني ٨/١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٢) الأغاني ٨/١٦٣ .

توبة بن الحُمَيِّر وليلى الأخيلية

توبة بن الحُمَيِّر بن ربيعة بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل الخفاجي، شاعر فارس من اللصوص، كثير الغارة، أحب ليلى بنت عبد الله بن الرحال الأخيلية وهي شاعرة من المتقدمات في الشعر في صدر الإسلام ، وقد شُهر توبة بحب ليلى وشُهرت به، وقالا شعراً يصور حبهما وعُدَّاً من العشاق العذريين، كان قوم توبة مجاورين لقوم ليلى، يغزوان معاً، فغزوا يوماً فلما رجعوا حانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والأسفار للقاء القادمين من الغزو، فرأى توبة ليلى وجعل يعاودها فيتحدث إليها إلى أن أخذت قلبه وأطارت لبه (١)، وكانت ليلى جميلة طويلة دعجاء العينين ، حسنة المشية حسنة الثغر، مع فصاحة وشاعرية(٢)، فخطبها توبة إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها، وزوجها رجلاً من بني الأذلع، ولكن توبة لم يمتنع من لقاء ليلى وقول الشعر فيها، فعاتبه قومها فلم يستجب وتمادى، فشكوا أمره إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم، وكان زوج ليلى غيوراً فتهدد ليلى وحلف لئن لم تعلمه بمجيئه ليقتلنَّها، ولئن أنذرته بذلك ليقتلنَّها، قالت ليلى : وكنت أعرف الوجه الذي يجيئني منه، فرصدوه بموضع، ورصدته بآخر، فلما أقبل لم أقدر على كلامه لليمين، فسفرتُ وألقيتُ البرقع عن رأسي، فلما رآها سافرة أنكر ذلك وفطن لما أرادت، وعلم أنه قد رُصِد فركض فرسه

---

(١)تزيين الأسواق ص ٩٦ .

(٢)فوات الوفيات ٢/ ٢٩٠ .

ففاتهم، وفي ذلك يقول :(١)

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداةَ سفورُها

وهذا البيت من قصيدة يذكر فيها حبه لليلى وعفة هذا الحب، وغيرة زوجها، وما يعانيه توبة في حبه لليلى وهو يتربص ليلاً ليجد فرصة في رؤيتها ومحادثتها، وما يريد من زيارتها غير السلام على غير ما يظن زوجها:(٢)

حمامةَ بطنِ الواديين ترنَّمي سقاكِ من الغُرِّ الغوادي مطيرُها
أبيني لنا لا زال ريشُكِ ناعماً ولا زلتِ في خضراءَ دانٍ بريرُها
وأُشرفُ بالقُورِ اليفاعِ لعلني أرى نارَ ليلى أو يراني بصيرُها
وكنتُ إذا ماجئتُ ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداةَ سُفورُها
عليَّ دماءُ البُدْنِ إنْ كان بعلُها يرى ليَ ذنباً غيرَ أنِّي أزورُها
وإني إذا ما زرتُها قلتُ يا اسلمي
وما كان في قولي اسلمي ما يضيرُها

وهو يرضى من ليلى بالقليل، والسلام من ذلك القليل، فإن حبه لليلى متمكن من قلبه وباق حتى بعد الموت، يجيب نداءها ويرد تحيتها، يقول : (٣)

ولو أنَّ ليلى الأخيليةَ سَلَّمتْ عليَّ ودوني تُرْبَةٌ وصفائحُ
لسلمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ

---

(١)الأغاني١١ / ٢١١ ديوان توبة ص ٣٣ تحقيق خليل العطية، ط دار صادر، بيروت ١٩٩٨ .

(٢)الديوان ص ٣٧ ـ ٣٩ ، الأغاني ٢١٤/١١ . البرير: ثمر الأراك ، القور الكثيب العالي من الرمل، اليفاع : المشرف .

(٣) الديوان ص ٤٧ ـ ٤٨ ، الأغاني ١١/ ٢٤٦ .

وأغْبَطُ من ليلى بما لا أنالُهُ ألا كلُّ ما قَرَّتْ به العينُ صالحُ

وكان حبه لليلى قد تغلغل في أعماق نفسه، فهو يحبها حباً لا مزيد عليه، وهذا الحب طاهر عفيف يرضى منه بالقليل :(١)

ولو أنَّ ليلى في السماءِ لأصعَدَتْ بطرفي إلى ليلى العيونُ الكواشحُ
ولو أرسلتُ وحياً إليَّ عرفتُهُ مع الريحِ في موارها المتناوحِ
إذا الناسُ قالوا كيف أنتَ وقد بدا ضميرُ الذي بي قلت للناسِ صالحُ
وأغْبَطُ من ليلى بما لا أنالُهُ ألا كلُّ ما قرَّتْ به العينُ صالحُ

وكان توبة قد رحل إلى الشام وكان يتشوق إلى ليلى ويذكرها ويحن إليها ويذكر محاسنها : (٢)

تذكرتَ من ليلاكَ ما لستَ ناسياً يدَ الدهرِ إلا ريثَ ما أنتَ ذاكرُهْ
ولوعٌ أُتيحت للفؤادِ ولم تكن تُنالُ على عفوٍ كذاكَ سرائرُهْ
أرى النأيَ من ليلاكَ سُقْماً وقُرْبُها حَيَاً كحيا الغيثِ الذي أنتَ ناظرُهْ
ولو سألتْ للناسِ يوماً بوجهها سحابَ الثُّرَيَّا لاسْتَهَلَّتْ مواطرُهْ
بأبلجَ كالدينارِ لـم تطَّلِعْ لـهُ من العيشِ إلا نعمُهُ وسرائرُهْ

ويشكو مما لقيه من العذال والوشاة الذين فرقوا بينه وبين ليلى، وتقولوا عليهما بالأكاذيب، ويحدث نفسه بما يلقاه من حب ليلى ومكانتها في قلبه، ولا يملك للتعبير عما يلقاه من حبها إلا الشعر والبكاء :(٣)

رماني وليلى الأخيليةَ قومُها بأشياءَ لم تُخْلَقْ ولم أدرِ ما هيا
فليتَ الذي تلقى ويُحزِنُ نفسَها ويُلقونَه ُ بيني وبينَ ثيابيا

---

(١) ديوانه ص ٤٨ .
(٢) الديوان ص ٤٤ ــ ٤٥ .
(٣) الديوان ص ٥١ــ ٥٣ .

ويعود إلى نفسه فيتصبرويتناسى أفاعيل الوشاة ويتمسك بحب ليلى وما له من أثر في نفسه فيقول :

تمسَّك بحبلِ الأخيليةِ واطَّرِحْ عدا الناسِ فيها والوشاةَ الأدانيا
فإنْ تمنعوا ليلى وحسنَ حديثها فلنْ تمنعوا مني البُكا والقوافيا
لو انَّ الهوى عن حُبِّ ليلى أطاعني أطعتُ ولكنَّ الهوى قد عصانيا
لعمري لقد سهَّدْتني يا حمامةَ العقيقِ وقد أبكيتِ من كان باكيا
وكنتُ وقورَ الحلمِ ما يستهشُني بكاءُ الصدى لو نحتُ نوحاً يمانيا
ولو أنَّ ليلى في بلادٍ بعيدةٍ بأقصى بلادِ الناسِ والجنِّ واديا
لكانت حديثَ الرَّكْبِ أولانتحى بها إذا أعلنَ الركبُ الحديثَ فؤاديا
ذكرتُك بالغَورِ التَّهامي فأصعدتْ شجونُ الهوى حتى بلغنَ التراقيا

ويذكر حب ليلى وتمكنه من نفسه، وتمسكه بها وشدة شغفه بها يقول:(١)

وبي من هوى ليلى هوى لوأبثُّهُ ولو كان أعدى الناسِ لي كان ينصحُ
هوىً لم تغيره الحروبُ ولم يزلْ على عهد ليلى أو يزيدُ فيربحُ

ويقتل توبة فى إحدى المعارك وتحزن عليه ليلى وتبكيه بكاء حاراً تذكر بطولته ومكارمه وتعدد مآثره :(٢)

أيا عينُ بَكِّي توبةَ بن حُمَيِّرٍ بسَحٍّ كفيضِ الجدولِ المتفجِّرِ
لتَبْكِ عليه من خفاجَةَ نسوةٌ بماءِ شؤونِ الغَبْرةِ المتحدِّرِ
سَمِعْنَ بهيجا أرهَقَتْ فذكَرْنَهُ ولا يبعَثُ الأحزانَ مثلُ لالتَّذكُّرِ
كأنَّ فتى الفتيانِ توبةَ لم يسِرْ بنجدٍ ولم يطلعْ مع المتغوِّرِ

---

(١)الديوان ص ٥٥ .

(٢)الأغاني ١١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

وتخاطب قاتليه، وتذكر بطولته وكرمه :

قتلتم فتىً لا يسقطُ الروعُ رمحَهُ إذا الخيلُ جالت في قناً متكسِّرِ
فيا توبُ للهيجا ويا توبُ للندى ويا توبُ للمستنبحِ المتنوِّرِ
ألا ربَّ مكروبٍ أجبتَ ونائلٍ بذلتَ ومعروفٍ لديكَ ومنكرِ

وللليلى شعر كثير في بكاء توبة والتغني بمكارمه وبطولته، وقد توفيت بعده في خبر لا يخلو من طرافة وافتعال ، تقول الرواية :(١)

" إن ليلى الأخيلية أقبلت من سفر، فمرت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودج لها، فقالت: والله لا أبرح حتى أسَلِّمَ على توبة، فجعل زوجها يمنعهامن ذلك وتأبى إلا أن تُلِمَّ به، فلما كثر ذلك منها تركها، فصعدت أكمة عليها قبر توبة، فقالت: السلام عليك يا توبة، ثم حولت وجهها إلى القوم فقالت : ما عرفت له كذبةً قطُّ قبل هذا، قالوا : وكيف ؟ قالت : أليس القائل:

ولو أنَّ ليلى الأخيليةَ سلَّمتْ عليَّ ودوني تُربةٌ وصفائحُ
لسلَّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائحُ
وأغبطُ من ليلى بما لا أنالهُ ألا كلُّ ما قرَّتْ به العينُ صالحُ

فما بالُه لم يسلم عليَّ كما قال ! وكانت إلى جانب القبر بومةٌ كامنة، فلما رأت الهودج واضطرابَهُ فَزِعتْ وطارت في وجه الجمل، فنفرَ فرمى بليلى على رأسها، فماتت من وقتها، فدُفنت إلى جنبه ". وكانت وفاة ليلى سنة ٨٠ هـ، وتوفي توبة قبلها بخمس سنوات سنة ٧٥ هـ .

---

(١)الأغاني ١١/٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

كُثَيِّر عَزَّة

كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أحد الشعراء العذريين الذين اشتهروا بالحب الصادق العفيف، أحبَّ عزة بنت حُميل بن حفص الضمرية، وارتبط اسمه باسمها فصار يقال : كثير عزة ، ويختلف كُثيرٌ عن بقية الشعراء العذريين فقد كان شعر الشعراء العذريين قبله كله في حب من يحبون والتغزل بهن، وقلما يجعلون أشعارهم في أغراض أخرى ، أما كثير فقد كان شعره في الغزل والمديح والسياسة، ذلك ان كثيراً كان شاعراً من فحول شعراء الإسلام، جعله ابن سلام في الطبقة الأولى وقرنه بجرير والفرزدق والأخطل والراعي، وكان متقلباً في سيرته فقد كان عاقاً لأبيه وكان متشيعاً غالياً يؤمن بالرجعة والتناسخ ومع ذلك كان يمدح الأمويين ويسير في ركابهم، وكان معجباً بنفسه تيَّاهاً على الرغم من قبحه وقصره، ولعله كان يجد في غزله وسلوكه تعويضاً عما ابتلي به من دمامة . (١)، وقد ذهب بعض القدماء والمحدثين أنه لم يكن صادقاً في حبه وإنما كان يدعي ويتكلف، وكان ممن أخرجه من مصاف الغزلين في العصر الحديث طه حسين(٢) وتابعه فريق من الدارسين، ولكن على الرغم مما قاله بعض القدماء والمحدثين فإن القاريء لشعر كثير الغزلي يجده شعراً صادقاً رفيعاً لا يقوله مدع أو متكلف، وفي سيرته وأخباره دلالة واضحة على صدق حبه لعزة وهيامه بها .

---

(١)طبقات فحول الشعراء ٢/٥٤٥ البيان والتبيين ٣/٢٤١، ٢٥١ الأغاني ٩/٧ .

(٢) حديث الأربعاء ١/٨٣ .

كان أول صلة كثير بعزة كما يروي الأصفهاني (١)أنه : " خرج من منزله يسوق خلفَ غنم إلى الجار فلما كان بالخَبْت، وقف على نسوة من بني ضَمْرة فسألهن عن الماء، فقلن لعزة وهي جارية حين كَعَب ثدياها: ارشديه إلى الماء، فأرشدته وأعجبته، فبينما هو يسقي غنمَه إذ جاءته عزة بدراهم فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا بهذه الدراهم كَبْشاً من ضأنك، فأمر الغلام فدفع إليها كبشاً، وقال : رُدِّي الدراهم وقولي لهنَّ: إذا رُحْتُ بكنَّ اقتضيتُ حقِّي، فلما راح مرَّ بهن، فقلن له: هذا حقك فخذه، فقال : عزة غريمي ولستُ أقتضي حقي إلا منها، فمزحن معه وقلن: ويحك ! عزة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقك، فأحلُهُ على إحدانا فإنها أملأ به منها وأسرع له أداء، فقال : ما أنا بمحيل حقي عنها، ومضى لوجهه، ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جَلَبه، فأنشدهنَّ فيها :(٢)

نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتقٌ على حين أنْ شَبَّتْ وبانَ نُهودُها
وقد درَّعوها وهي ذاتُ موَصَّدٍ مجوبٍ ولما يلبس الدرعَ ريدُها
من الخَفرات البِيْضِ وَدَّ جليسُها إذا ما انقضتْ أحدوثَةٌ لوتُعيدُها

فقلن له : أبيتَ إلا عزة، وأبرزنها إليه وهي كارهة، ثم أحبته عزة بعد ذلك " . وكانت عزة جميلة حمراء نظيفة فصيحة حلوة الحديث، وصار كثير يشبب بها ويكثر من التغني بحبها وبجمالها، وكان يلتقي بها ويشكو ما يعانيه

---

(١) الأغاني ٩/ ٣٤ .الجار والخبت موضعان بين مكة والمدينة .

(٢)العاتق: الشابة البكر. الدرع القميص، ثوب صغير تلبسه الجارية الصغيرة. الموصد: صدار تلبسه الجارية الصغيرة فإذا أدركت دُرِّعت. المجوب : الذي له جيب. الريد: الترب والند .

من وجد وشوق، ويصف أشواقه وتستوقفه محاسنهاودموعها ساعة الوداع : (١)

ألمِمْ بعزَّةَ إنَّ الركبَ منطلقُ وإنْ نأتْكَ ولم يُلْمِمْ بها خَرَقُ
قامتْ تراءى لنا والعينُ ساجيةٌ كأنَّ إنسانها في لُجَّةٍ غَرِقُ
ثم استدارَ على أرجاءِ مُقْلَتِها مبادراً خلسات الطَّرْفِ يستبقُ
كأنه حين مارَ المأقيانِ بهِ دُرٌّ تحَلَّلَ من أسلاكهِ نَسَقُ

وتتزوج عزة وتبعد عنه ولا سبيل إلى لقائها إلا مصادفة، ويبقى هو دائم الشوق يتحسر عليها ويحن إلى ديارها ويتمسح بأرضها وترابها (٢)

خليليَّ هذا ربعُ عزَّةَ فاعْقلا قَلُوصَيْكما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ
ومُسَّا تُراباً كان قد مَسَّ جلدَها وبيتاً وظِلاً حيث باتتْ وظَلَّتِ
وما كنتُ أدري قبلَ عزَّةَ ما البكا ولا موجعاتِ القلبِ حتى تولَّتِ

ويبقى متعلقاً بها، ومهما بعدت عنه فهو يراها ويتأمل صورتها في كل شيء في الطبيعة، تذكره بها الديار والرياح، ويقسم أن لا ينساها مهما كثر البعاد ونأت الديار :(٣)

فأقسمتُ لا أنساكِ ما عشتُ ليلةً وإن شَحَطتْ دارٌ وشطَّ مزارُها
وما استنَّ رقراقُ السَّرابِ وما جرى ببيْضِ الرُّبى وحشيُّها ونَوارُها
وما هبَّتِ الأرواحُ تجري وما ثوى مُقيماً بنجدٍ عوفُها وتعَارُها

وتزوجت عزة فحُرم من لقائها وكان زوجها غيوراً، يكلفها ما لا تطيق

---

(١)الديوان ص ١٩٨ شرح قدري مايو، ط دار الجيل، بيروت ١٩٩٥ .
(٢)الديوان ص ٧٥، الأغاني ٩/ ٣٨ .
(٣)الديوان ص ١٦٥ .استن: اضطرب. النوار: النفور الشرود من الحيوان . عوف وتعار: جبلان .

من ذم كثير وسبه، وما كان كثير يرى عزة إلا مصادفة، ففي رواية أن عبد الملك بن مروان سأل كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة، فقال :(١):" حَجَجتُ سنةً من السنين، وحجَّ زوج عزة بها، ولم يعلم أحد منا بصاحبه . فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تُصلح به طعاماً لأهل رُفقته ، فجعلتْ تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلتْ إليَّ وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنتُ أبري أسهماً لي، فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر إليها ولا أعلم، حتى بريت عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري، فلما تبينتْ ذلك دخلتْ إليَّ فأمسكتْ يدي وجعلتْ تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نحْيٌ من سمن، فحلفتُ لتَأخُذَنَّهُ ، فأخذتْهُ وجاءت إلى زوجها بالسمن، فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته، حتى حلفَ لتصدقَنَّهُ فصدقَتْهُ ، فضربها وحلف لتشتمنِّي في وجهي ، فوقفتْ عليَّ وهو معها فقالت لي : يابنَ الزانية، وهي تبكي، ثم انصرفا، فذلك حين أقول : (٢)

يكلفها الخنزيرُ شتمي وما بها هواني ولكن للمليك استذلَّت

ويذكر في هذه القصيدة صفات عزة وبخلها وتمنعها وشتمها وحبه لهاوشوقه إليها :

فقلتُ لها يا عَزَّ كلُّ مصيبة إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذلَّت
أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةٌ لدينا ولا مقليَّةٌ إنْ تقَلَّت
هنيئاً مريئاً غيرَ داء مخامرٍ لعَزَّةَ من أعراضنا ما استحَلَّت
تَمَنَّيْتُها حتى إذا ما رأيتُها رأيتُ المنايا شُرَّعاً قد أظَلَّت
كأني أنادي صخرةً حين أعرضتْ من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلَّت

---

(١) الأغاني ٩/٣٧ ـ ٣٨ .

(٢)الديوان ص ٧٨ ـ ٨٢ .

صَفوحٌ فما تلقاكَ إلا بخيلةً فمَنْ مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّت
أصابَ الردى مَنْ كان يهوى لكِ الردى وجُنَّ اللواتي قلنَ عزَّةُ جُنَّتَ

وبقي كثير يتمنى لقاء عزة ويحن إليها، ولكنه لا ينال إلا الحرمان، فهو يتحدث عن حاله ويمثل حرمانه ويأسه من وصل عزة بهذه الصورة المنتزعة مما حوله من بيئة وطبيعة :(١)

وإني وتهيامي بعزَّةَ بعدما تخلَّيْتُ ممَّا بينَنا وتخَلَّت
لكالمرتجي ظلَّ الغَمامة كلما تبوَّأ منها للمقيلِ اضمحلَّت
كأني وإياها سحابةُ ممحلٍ رجاها فلما جاوزته استهلَّت

وقد يئس من عطف عزة فهي بعيدة متمنعة لا ترقُّ له ولا تسأل عنه ، ويتمنى السقم والمرض لعلها تحن إليه وتسأل عنه، وهو في حياته يأتي المكرمات ويصنع المعروف كي تسمع عزة بشمائله فترضى عنه وترحمه مما يعانيه، ويصور ضعفه ويأسه وما صار إليه ويبكي حظه وشاعريته : (٢)

يودُّ بأنْ يُمسي سقيماً لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تراسلُهْ
ويرتاحُ للمعروف في طلب العُلى لتُحْمَدَ يوماً عند ليلى شمائلُهْ
فلو كنتُ في كَبْلٍ وبحتُ بلوعتي إليه لأنَّتْ رحمةً لي سلاسلُهْ
ولو أكلتْ من نَبْتِ عيني بهيمةٌ لَهَيَّجَ منها رحمةً حينَ تأكُلُهْ
ويُدْرِكُ غيري عند غيرِكِ حظَّهُ بشعري ويُعْيِيني به ما أحاوله
فلا هانتِ الأشعارُ بعدي وبعدكم مُحبَّاً ومات الشعرُ بعدي وقائلُهْ

وتموت عزة في مصر بعيدة عن كثير سنة ٨٠ هـ ، ويبكيها كثير ويتحسر

---

(١)الديوان ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٢)الديوان ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

عليها ويذكر محاسنها ويبأس من لقائها بعد أن حال التراب بينهما فلا يملك إلا أن يبكيها، ويرحل إلى مصر ويمدح عبد العزيز بن مروان فيكرمه ويرفع منزلته ويقول له : " سل ما شئت من الحوائج، قال : نعم أحب أن تنظر لي من يعرف قبر عزة فيوقفني عليه، فقال رجل من القوم: إني لعارف به ، فوثب كثير فقال لعبد العزيز : هي حاجتي أصلحك الله، فانطلق به الرجل حتى انتهى به إلى موضع قبرها، فوضع يده عليه ودمعه يجري وهو يقول : (١)

وقد كنتُ أبكي من فراقك حيَّةً ... وأنتِ لَعَمْري اليومَ أنأى وأنزحُ
فيا عَزَّ أنت البدرُ قد حالَ دونَهُ ... رجيع تُرابٍ والصفيحُ المُضَرَّحُ
فهلا فداك الموتَ من أنت زَيْنُهُ ... ومن هو أسوا منك دَلاً وأقبحُ
على أُمِّ بَكْرٍ رحمةٌ وتحيَّةٌ ... لها منك والنائي يودُّ وينصحُ
تعلقتُ عَزّاً وهي رؤدٌ شبابُها ... عَلاقةَ حُبٍّ كادَ بالقلبِ يرجَحُ
وما نظرتْ عيني إلى ذي بشاشةٍ ... من الناسِ إلا وهي في العينِ أملحُ
ألا لا أرى بعدَ ابنةِ النَّضْرِ لـذَّةً ... لشيءٍ ولا مِلْحاً لَمَنْ يتملَّحُ
فإنَّ التي أحبَبْتُ قد حالَ دونَها ... طِوالُ الليالي والضريحُ المُصَفَّحُ
فلا زالَ رَمْسٌ ضمَّ عزَّةَ سائلاً ... به نعمةٌ من رحمةِ اللهِ تسفَحُ

ويموت بعدها كُثيِّر في الحجاز، سنة ١٠٥هـ، واتفق أن توفي عكرمة مولى ابن عباس وكثير عزة في يوم واحد، فقالوا: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس، وقد أخرجت جنازتيهما فما تخلف رجل ولا امرأة بالمدينة عن

---

(١) مصارع العشاق ١/ ٥١ ، الديوان ص ١٠٥ـ ١٠٧ .

جنازتيهما، وقد غلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة في ندبتهنَّ له .(١)

---

(١) الأغاني ٩/ ٤٧ ـ ٤٨ .

obeikandl.com

ذو الرمــة ومــي

شاعر كبير جيد الشعر من شعراء البادية من قبيلة الرباب نشأ في مناطق نجد وشرقي الجزيرة، وكان يزور البصرة ويقيم فيها وينشد الشعر في سوق المربد، وقد اشتهر بالغزل ووصف مشاهد الصحراء ، وكان أهل البادية يعجبهم شعره ويفضلونه على شعراء الحاضرة .يقول الأصمعي : " ما أعلم أحداً من العشاق الحضريين وغيرهم شكا حباً أحسن من شكوى ذي الرمة ، مع عفة وعقل رصين "(١) وكان دميماً قصيراً أسود، وكان الناس يجتمعون حوله يسمعون شعره فتقول أمه : استمعوا إلى شعره ولا تنظروا إلى وجهه . وكان جرير والفرزدق يحسدان ذا الرمة ويعجبان بشعره، وأهل البادية يعجبهم شعره، وكان حماد الراوية يقول: " أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيهاً ".(٢)

ذو الرمة: غيلان بن عقبة بن مسعود العدوي المضري ولد سنة ٧٧هـ ، وتوفي سنة ١٧٧ هـ، وذو الرمة لقب لقب به لقوله :

أشعث باقي رُمَّةِ التقليد

والرُّمة القطعة من الحبل الباقية في الوتد الذي ينزع (٣). وقيل سمي ذا الرمة لأنه خشي عليه العين وهو غلام، وقيل كان يُرَوَّع في الليل فأُتي به إلى شيخ من الحي فصنع له معاذة وشدت على عضده بحبل(٤)، وقيل

---

(١) الأغاني ١٢/١٨ .

(٢)الأغاني ١٨ / ١٣ ـ ١٤ .

(٣)الأغاني ٥/١٨ .

(٤)الخزانة ١/ ٥١ والأغاني ١٨/ ٦ .

لقبته به مَيَّة، وكان أول ما رآها وعرفها، فقد اجتاز بخبائها وهي جالسة إلى جنب أمها، فاستسقاها ماءً، فقالت لها أمها: قومي فاسقيه، وقيل : بل خرَقَ إداوته لما رآها، وقال لها اخرزي لي هذه، فقالت : والله ما أحسن ذلك، فإني لخرقاء، قال: والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قومها، فقال لأمها : مُريها أن تسقيني ماء، فقالت لها : قومي يا خرقاء فاسقيه ماء، فقامت فأتته بماء، وكانت على كتفه رُمَّة ؛ وهي قطعة من حبل ، فقالت : اشرب يا ذا الرُّمَّة، فلقب بذلك .(١)

وقيل في أول لقاء ذي الرمة بمي وهي من ولد طُلبَة بن قيس بن عاصم المنقري، أنه كان مع أخيه وابن عمه يطلبون إبلاً لهم، فمروا ببيوت متدانية فقال له أخوه وابن عمه : استسقِ لنا ماء، فأتى البيت فوجد عجوزاً جالسة فاستسقى فقالت : يا ميَّ ، اسقِ هذا الغلام، قال : فدخلت عليها فإذا هي تنسج ثوباً لها وهي تقول :(٢)

يا من يرى برقاً يمرُّ حينا زَمْزَمَ رعداً وانتحى يمينا

كأنَّ في حافاته حنينا أو صوتَ خيلٍ ضُمَّرٍ يردينا

قال ذو الرمة : ثم قامت تصبُّ في شَكْوَتي(٣)ماءً، فلما مالت على القربة رأى جمالاً وحسناً بهره، قال :" فلهوتُ بالنظر إليها وأقبلتْ تصبُّ الماء في شكوتي، والماء يذهب يميناً وشمالاً، فأقبلت عليه العجوز تقول : " يا بُني ألهتك مي عمَّا بعثك أهلُك له، أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً " فقلت : أما والله ليطولنَّ هُيامي بها . قال :وملأتُ شكوتي، وأتيت أخي وابن

---

(١)الأغاني ١٨/ ٥ .

(٢)الأغاني ١٨/ ١٦ .

(٣) الشكوة : وعاء من أدم للماء واللبن .

عمي، ولففتُ رأسي، فانتبذتُ ناحيةً،وقد كانت ميّ قالت : لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحداثة سنك، فأنشأتُ أقول :(١)

قد سَخِرَتْ أختُ بني لبيدِ منِّي ومن سَلْمٍ ومن وليدِ
رأتْ غُلامَيْ سفرٍ بعيدِ يدَّرعانِ الليلَ ذا السدودِ
مثلَ ادِّراعِ اليَلْمَقِ الجديدِ

قال : وهي أول قصيدة قلتها ثم أتممتها ، ثم مكثتُ أهيمُ بها في ديارِها عشرين سنة ".

وقال يتشوق إليها ويذكر محاسنها وقد رحلت عنه : (٢)

تجيشُ إليَّ النفسُ في كلِّ منزلٍ لميٍّ ويرتاعُ الفؤادُ المشوَّقُ
أراني إذا هَوَّمْتُ يا ميُّ زُرْتني فيا نعْمتا لوأنَّ رؤيايَ تصدقُ
فما حُبُّ ميٍّ بالذي يكذبُ الفتى ولا بالـذي يُزهى ولا يُتَمَلَّقُ
لعمرُكَ إنِّي يومَ جرعاءِ مالكٍ لذو عَبْرةٍ كُـلاَّ تفيضُ وتخنُقُ
وإنسانُ عيني يحسرُ الماءَ تارةً فيبدو وتاراتٍ يَجُمُّ فيغْرَقُ
يلومُ على مَيٍّ خليلي وربَّما يجورُ إذا لامَ الشفيقُ ويخرُقُ

ويبين محاسنها وزينتها وما حباها الله من حسن وجمال، ويذكر خيالها الذي يُلِمُّ به ليلاً :(٣)

ولو أن لقمانَ الحكيمَ تعَرَّضَتْ لعينيهِ مَـيٌّ سافراً كادَ يبرَقُ

---

(١)الأغاني ١٧/١٨ .اليلمق: القباء ، ثوب يلبس فوق الثياب، فارسي معرب .

(٢)ديوان ذي الرمة ٤٥٨/١ ـ ٤٦٦ تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣ .تجيش: تثور وتفور. هومت: غفوت .)

(٣)يبرق: يدهش ويبقى مفتوح العينين. أناة: فاترة بطيئة القيام. المرط: الإزار. المجن: الوشاح. الإهان : العذق وهو العرجون الذي عليه العذوق في النخلة. أم الخشف: ===

غداةَ أُمَنِّي النفسَ أنْ تُسْعفَ النوى بمَيٍّ وقد كادتْ من الوَجْد تزهَقُ
وتكسو المجَنَّ الرِّخْوَ خَصْراً كأنَّهُ إهانٌ ذوى عن صُفْرةٍ فهو أخلَقُ
لها جِيْدُ أَمِّ الخِشْفِ رِيْعَتْ فأتلَعَتْ ووجهٌ كقَرْنِ الشمسِ رَيَّانَ مُشْرِقُ
وعينٌ كعَيْنِ الرئْمِ فيها ملاحَةٌ هي السحرُ أوأدهى التباساً وأعلَقُ
وتَبْسِمُ عن نَوْرِ الأقاحيِّ أقفَرَتْ بوعساءَ معروفٍ تُغامُ وتُطْلَقُ
أمنْ مَيَّةَ اعتادَ الخيالُ المُؤَرِّقُ نعم إنها مما على النأي تطرقُ

ويذكر ميَّةَ حين يمر على ديارها فيدعو لها بالسُّقيا، ويتذكر أيامه وإياها وما فعل الشوق والوجد في نفسه، ويصور حاله وما فعل به الهجر والبعاد ،فهو لا يمل من لقائها، ولا ينساها إذا بعدت، ويزداد شوقه إليها حين يمر به طيفها أو يداعبه خيالها :(١)

أمنزلتَيْ مَيٍّ سلامٌ عليكما على النأي والنائي يَوَدُّ وينصحُ
ولازال من نَوء السماء عليكما ونَوْء الثُّريَّا وابلٌ متبطِّحُ
إذا غَيَّرَ النأيُ المحبينَ لم أجدْ رسيسَ الهوى من ذكْرِ مَيَّةَ يَبْرَحُ
فلا القُرْبُ يُبدي من هواها ملالةً ولا حُبُّها إنْ تنزح الدارُ ينزحُ
إذا خَطَرَتْ من ذكر مَيَّةَ خَطْرةٌ على القلب كادتْ في فؤادك تجرحُ
تصرَّفُ أهواءُ القلوبِ ولا أرى نصيبَك من قلبي لغيرك يُمْنَحُ
أرى الحُبَّ بالهجرانِ يُمحى فيَمَّحي وحُبُّكَ مَيَّاً يستجدُّ ويربَحُ

وتتزوج مي، ويشتاق ذو الرمة ألى رؤيتها، فينزل على زوجها ضيفاً في

=== الظبية. أتلعت: أشرفت بعنقها.الأقاحي: نبت طيب الريح.الوعساء: الرمل . معروف: مكان. تغام: يصيبها الغيم. تطرق: تأتي ليلاً.

(١)الديوان ٢/ ١١٩٠ ـ ١١٩٦ . متبطح : يقلب حصى البطحاء . رسيس الهوى: مسه. ينزح : يبعد. الخطرة: الهبَّة تمر بالقلب.

ليلة ظلماء، وهو طامع في ألا يعرفه زوجها فيدخله بيته، فيراها ويكلمها ، ففطن له الزوج وعرفه ولم يدخله، وأخرج إليه قِراه، وتركه بالعراء. وقد عرفته ميَّة، فلما كان في جوف الليل تغنى غناء الركبان :(١)

أراجعةٌ يا ميُّ أيامنا الألى بذي الأثلِ أم لا ما لهنَّ رجوعُ

فغضب زوجها وقال : قومي فصيحي به: يابنَ الزانية، وأيُّ أيام كانت لي معك بذي الأثل! فقالت : يا سبحان الله ! ضيفٌ والشاعر يقول ! فانتضى السيف وقال : والله لأضربنَّك به حتى آتي عليك أو تقولي، فصاحت به كما أمرها زوجها، فنهض وركب راحلته فانصرف عنها مغضباً . وصار يتغزل بخرقاء وهي امرأة من بني عامر، يريد أن يغيظ بذلك ميَّاً فقال فيها ثلاث قصائد، وقيل خرقاء هي ميـة نفسها وقد سمَّاها ذو الرمة بهذا الاسم كما تقدم.

وبقي ذو الرمة يحن إلى حبيبته، تذكره بها الريح التي تهب من ناحيتها فتذرف عيناه دموع الشوق إليها، وظل غاضباً على زوجها يتمنى أن يموت قبله ليخلص له وجه مي، يقول :(٢)

ألا لاأرى الهجرانَ يشفي من الهوى ولا واشياً عندي بميٍّ يعيبُها
إذا هبَّتِ الأرواحُ من نحوِ جانبٍ به أهلُ ميٍّ هاجَ شوقي هُبوبُها
هوىً تذرفُ العينانِ منهُ وإنَّما هوى كلِّ نفسٍ حيثُ حَلَّ حبيبُها
ألا ليتَ شعري هل يموتَنَّ عاصمٌ ولم تَشْتَعِبْني للمنايا شَعوبُها
وهل يجمَعَنْ صَرْفُ النَّوى بينَ أهلنا على الشَّحْطِ والأهواءُ يدنو غريبُها
رمى اللهُ من حتْفِ المنيَّةِ عاصماً بقاضيةٍ يُدعى لها فيُجيبُها

---

(١)الأغاني ١٧/١٨، الديوان ١٠٧٨/٢ .وفي الديوان: بذي الرمث .

(٢)الديوان ٦٩٤/٢ ـ ٦٩٦ . تشتعبني: تذهب بي.

ولم يعدم ذو الرمة من يكدر عليه حبه ويغضب مية منه، فكانت كثيرةُ أمة لآل قيس بن عاصم قد قالت بيتين ونحلتهما لذي الرمة وهما :(١)

على وجه ميٍّ مَسْحَةٌ من ملاحةٍ وتحتَ الثيابِ الخزيُ لو كان باديا

ألم ترَ أن الماء يخبثُ طعمُهُ ولوكان لونُ الماءِ في العينِ صافيا

فامتعظ ذو الرمة من ذلك، وحلف بجهد أيمانه ما قالها. ولعل ذلك ما أغضب مية، إذ وقف ذو الرمة في ركب معه على ميَّة، فسلموا عليها، فقالت : وعليكم إلا ذا الرمة، فأحفظه ذلك وغَمَّهُ ما سمع منها بحضرة القوم، فغضب وانصرف وهو يقول :(٢)

أيا ميُّ قد أشمَتِّ بي ويحَكِ العدا وقطَّعتِ حبلاً كان يا ميُّ باقيا

فيا ميُّ لا مرجوعَ للوصلِ بيننا ولكنَّ هجراً بيننا وتقاليا

ولكن هل يستطيع ذو الرمة هجر حبيبته ويصبر على ما قاله في لحظة غضب ؟ هيهات، فقد ظل ذو الرمة يشتاق إليها ويمني النفس بلقائها والنظر إليها ، فهو يحدث نفسه عن حبه إياها وتعلقه بها فيقول :(٣)

أما أنتَ عن ذكراكَ ميَّةَ مُقْصِرُ ولا أنتَ ناسي العهدِ منها فتذكُرُ

تهيمُ بها ما تستفيقُ ودونها حجابٌ وأبوابٌ وسِتْرٌ مُسَتَّرُ

وهو دائم التفكير بهذا الحب الذي أعياه، ويشكو هجرها وبعادها، ولكنه يذكرها في كل حال ويشتاق إليها ويتمنى رضاها، وقد يبعد عنها وهو مكره ولكنه مشدود إليها مقيم على عهدها لا يبوح بسر ولا يغيره طول

---

(١)الأغاني ١٨/ ٣٠ .

(٢)الأغاني ١٨/ ٣١ .

(٣)الأغاني ١٨/ ٣١ .

الهجر والبعاد: (١)

عدتني العوادي عنك يا ميُّ برهةً وقد يُلتوى دونَ الحبيبِ فيُهْجَرُ
على أنَّني في كلِّ سيرٍ أسيرُهُ وفي نظري من نحوِ أرضِكِ أصورُ
فإنْ تُحْدِثِ الأيامُ يا ميُّ بيننا فلا ناشرٌ سراً ولا متغيِّرُ
أقولُ لنفسي كلَّما خفْتُ هَفْوَةً من القلبِ في آثارِ ميٍّ فأكثرُ
ألا إنَّما ميٌّ فصبراً بليَّةٌ وقد يُبتَلى المرءُ الكريمُ فيصبرُ

ويقف عند محاسنها فيتأمل في وجهها وقوامها وأعضائها، فعيناها عينا ظبي وفمها زهر الأقحوان في أول تفتحه، وهي كالظبية حسنة الجيد حوراء العينين، هيفاء ضامرة البطن جميلة الخصر ممتلئة الذراعين والساقين وهي طويلة كالرمح قد كملت محاسنها: (٢)

تذكرني ميَّاً من الظبي عينُهُ مراراً وفاها الأقحوان المنَوِّرُ
وفي المِرْطِ من مَيٍّ توالي صريمةٍ وفي الطَّوْقِ ظبيٌ واضحُ الجِيْدِ أحوَرُ
وفي العاجِ منها والدماليجِ والبُرى قناً ماليء للعينِ ريَّانُ عبهَرُ

وكانت وفاة ذي الرمة وهو في طريقه إلى هشام بن عبد الملك، وكان عمره أربعين سنة وكان آخر ما قاله: (٣)

يا ربِّ قد أشرفتْ نفسي وقد علمتْ علماً يقيناً لقد أحصيتَ آثاري
يا مُخرجَ الروحِ من جسمي قد احتُضِرَتْ وفارِجَ الكَرْبِ زَحْزِحْني عن النارِ

---

(١) الديوان ٢/٦١٧ ـ ٦٢٢ . عدتني العوادي: صرفتني الصوارف. برهة: دهراً وحقبة. يلتوي: لم يستقم. أصور: التفت وأميل.

(٢) الأقحوان: زهر طيب الرائحة. المرط: الإزار. الصريمة: قطعة من الرمل. العاج: أي السوار. البرى: الخلاخيل. القنا: الرمح أوالقصبة. عبهر: حسن عظيم

(٣) الأغاني ١٨/ ٤٩ .

يزيـد بن الطثريـة ووَحْشِيَّة

شاعر من شعراء الغزل المتميزين ، ومن الشعراء المتقدمين وأعيانهم عند بني أمية (١)، جعله ابن سلام في الطبقة العاشرة من الشعراء الإسلاميين و هم : مزاحم العقيلي، ويزيد بن الطثرية، وأبو دواد الرواسي، والقحيف بن سليم العقيلي .(٢) اسمه يزيد بن سلمة بن سَمُرة بن سلمة الخير بن قشير، من بني عامر بن صعصعة (٣)، ونسب إلى أمه الطثرية ، وهي امرأة من طَثْر وهم حي من اليمن عدادهم في جَرْم ، وقيل : إن الطثرية أم يزيد كانت مولعة بإخراج زُبد اللبن، فسُمِّيَتْ الطثرية، وطَثْرةُ اللبن : زُبدته(٤)، يُكنى يزيد أبا المكشوح، وكان يلقب مُوَدِّقاً، سُمي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره، وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون : إنه إذا جلس بين النساء ودقهنَّ، أي فتنهن بجماله وظرفه وحلاوة لسانه فيملن إليه. وكان شعره عذباً رقيقاً تحبه النساء، فكان يزيد يشعر بأثر شعره في عواطف النساء فكان يقول : مَنْ أفحمَ عند النساء فليُنشد من شعري (٥) ، وكانت إحدى النساء المفتونات به تقول : إن يزيد بن الطثرية كان من أحسن من

---

(١)طبقات فحول الشعراء ٢/٧٦٩، وفيات الأعيان ٦/٣٦٨ تحقيق إحسان عباس، ط بيروت ١٩٧٧ .

(٢)طبقات فحول الشعراء٢/٧٦٩ ـ ٧٧٠ .

(٣)الأغاني ٨/١٦٥ .

(٤) الأغاني ٨/١٦٦ .

(٥)الأغاني ٨/١٦٦ .

مضى وجهاً وأطيبه حديثاً، وإن النساء كانت مفتونة به .(١) .

وكان يزيد صاحب غزل ومحادثة للنساء ، وكان ظريفاً جميلاً وكريماً، أما أخوه ثور بن سلمة فكان رجلاً سيداً كثير المال والنخل والرقيق، وكان متنسكاً كثير الحج والصدقة ، كثير الملازمة لإبله ونخله، وكانت إبله ترد مع الرِّعاء على أخيه يزيد بن الطثرية فتُسقى على عينه، فبينا يزيد ماراً في الإبل وقد صدرت عن الماء، إذ مرَّ بخباء فيه نسوة، فلما رأينه قلن : يا يزيد أطعمنا لحماً، قال : أعطينني سكيناً فأعطينه، فنحر لهن ناقة من إبل أخيه، وبلغ الخبر أخاه فأقبل فأخذ بشَعره وفسَّقَهُ وشتمه ، وكا يزيد يرد عليه ويقول : (٢)

يا ثورُ لا تشتُمَنْ عِرْضي فداكَ أبي ... فإنَّما الشتمُ للقومِ العَواوِيرِ
ما عَقْرُ نابٍ لأمثالِ الدُّمى خُرُدٍ ... عِينٍ كرامٍ وأبكارٍ معاصيرِ
عكَفْنَ حوليَ يسْألنَ القرى أُصُلاً ... وليس يرضَيْنَ مني بالمعاذيرِ
هَبْهُنَّ ضيفاً عراكم بعدَ هجْعَتكمْ ... في قطْقطٍ من سقيطِ الليلِ منثورِ
وليسَ قُرْبُكُمُ شاءٌ ولا لبَنٌ ... فيرحلُ الضيفُ عنكم غيرَ محبورِ
ما خيرُ واردةٍ للماءِ صادرةٍ ... لا تنجلي عن عقيرِ الرجلِ منحورِ

---

(١)السابق والصفحة .

(٢)طبقات فحول الشعراء ٧٧٨/٢ ، الأغاني ١٨٥/٨ ـ ١٨٦ . العواوير: جمع عُوَّار وهو الضعيف الجبان الخسيس. الناب: الناقة المسنة. الخُرُد: جمع خريدة، وهي المرأة الحيية الطويلة السكوت. العين: الواسعات العينين . المعاصير: جمع معْصِر وهي التي بلغت عصر شبابها وإدراكها. القرى: ما يقدم للضيف. أصلاً : جمع أصيل، وهو وقت العشي. عراكم: غشيكم طالباً القرى. القطقط: المطر الصغار كأنه شذر.السقيط: الثلج .

وتعلق يزيد بجارية من قبيلة جَرْم كانوا نازلين على بني قُشير يقال لها وَحْشيَّة، وكانت من أحسن النساء وأجملهن، وأحبها حباً شديداً عفيفاً وأحبته وحشية، ومنعته قبيلتها ورحلوا، فاشتد به الوجد والضنى، وصار من العشق إلى أن أشرف على الموت، ويئس الأطباء منه ، ونصحه ابن عم له بأن يسلوَ هذه المرأة وإلا هلك بقتل نفسه والوقوع في الإثم، وطلب من ابن عمه أن يحمله إلى وحشية ففي لقائها البُرء والشفاء وإلا هلك، فحمله ابن عمه، وحين علم يزيد أنه في طريقه إلى وحشية تحسنت حاله وشعر بالخفة والشفاء، وقربا من حي وحشية وكان ابن عمه يسأل الرعيان عن راعي وحشية حتى لقيه ولقي غلامها، فسأله عن حال وحشية، فقال غلامها : هي والله بشَرٌّ ! لا حفظ الله بني قُشير ولا يوماً رأيناهم فيه ! فما زالت عليلة منذ رأيناهم، وكان بها من الوجد والضنى والعناء بمثل ما كان بيزيد ، فقالا لغلامها : إن هاهنا إنساناً يداويها، فلا تقل لأحد غيرها، فأعلمها الراعي فطلبت رؤية هذا المداوي، فاتفقوا على أن ينسَلَّ إليها يزيد سراً في عُتْمة الليل، ويبقى ابن عمه عند موضع الرعي، فصار يزيد إلى وحشية ، فسُرَّتْ به سروراً شديداً، وأدخلته سِتْراً لها، وجمعت عليه من الغد من تثق به من صواحبها وأترابها، فأقام يزيد عندها ثلاث ليال ورجع إلى أصح ما كان عليه، ثم انصرف إلى ابن عمه فأخبره بسروره وشفائه وطيب نفسه، وصار يقول لابن عمه واسمه خليفة بن بوزل : (١)

لو انَّكَ شاهدتَ الصِّبا يابنَ بوزَلٍ بفَرْعِ الغضى إذ راجعتني غياطلُهْ
لشاهدتَ لهواً بعدَ شَحْطٍ من النَّوى على سَخَطِ الأعداء حُلْواً شمائلُهْ

---

(١)الأغاني ٨/ ١٧١، الغياطل: الظلمة المتراكمة، أي عادت إليه جهالات الصبا وطيش الشباب ، كإبهام القطا: كناية عن القصر .

ويوماً كإبهامِ القطاة مُزَيَّناً لعيني ضُحاهُ غالباً لي باطلُهْ
بنفسي مَنْ لو مَرَّ بَرْدُ بنانه على كَبِدي كانتْ شفاءً أنامِلُهْ
ومَنْ هابني في كلِّ أمرٍ وهِبْتُهُ فلا هو يعطيني ولا أنا سائلُهْ

ثم يصف وحشية وأثر حبها في نفسه، وما كان يعانيه ساعة الفراق فكأنه أسير فُكَّ قيده ليقتل، فطلب مهلة أن يصلي ركعتين قبل الموت وهو يرتعد خوفاً:(١)

ألا حبَّذا عيناك يا أمَّ شَنْبَلٍ إذا الكُحْلُ في جَفْنَيْهما جَالَ جائلُهْ
فداك من الخُلاَّن كلُّ مُمَزِّجٍ تكونُ لأدنى مَنْ يُلاقي وسائلُهْ
فَرُحْنا تلَقَّانا بهِ أُمُّ شَنْبَلٍ ضُحَيَّاً وأبكَتْنا عَشيَّاً أصائلُهْ
وكنتُ كأنِّي حين كان كلامُها وداعاً وخَلَّى موثِقَ العَهْدِ حاملُهْ
رهينُ بنفسٍ لم تُفَكَّ كُبُولُهُ عن الساقِ حتى جَرَّدَ السيفَ قاتلُهْ
فقال دعوني سجدتين وأرْعدَتْ حِذارَ الرَّدى أحشاؤهُ ومفاصِلُهْ

وكان يزيد يواعد وحشية فتأتيه ويتحدثان ويشكوان ما يعانيانه من وجد وشوق، وكذلك كان يلتقي بنساء جَرْم ويحادثهن ومنهن وحشية، فبلغ ذلك عمها فُدَيك بن حنظلة الجرمي فشقَّ عليه وزجر النساء وأقسم أن يقتلهن إن هن ظهرن ليزيد، ثم إن فديكاً رأى يزيد قائماً عند باب أهله، فظن أنه يواعد بعض نسائه، فارتصده على طريقه، وأمر عبدين له بحفر زُبْيَة ثم أوقد فيها ناراً لينة واختبأ في مكان، ولم يلبث أن رأى وحشية ابنة أخيه تتهادى في برودها لميعاد يزيد، فوقعت على الزبية(٢)فاحترق بعضها

---

(١)شنبل اسم علم، وشنبَلَهُ: قبَّله. الممزِّج: المخلط الكذاب الذي لا يثبت على خلق.

(٢)الزبية حفرة يصاد بها الذئب والأسد .

، وأمر بها فأخرجت، وانطلق بها العبدان إلى داره، فقال فُديك : (١)

شفى النفسَ من وحشيةَ اليومَ إنها تهادى وقد كانت سريعاً عنيقُها
فإلاَّ تدعْ خَبْطَ الموارد في الدُّجى تكُنْ قَمَناً من غَشْيَة لا تُفيقُها
دواءُ طبيبٍ كان يعلمُ أنَّهُ يُداوي المجانينَ المُخَلَّى طريقُها

فبلغ ذلك يزيد فحزن وتمنى لوحشية سرعة الشفاء، وصار يجيب فُديكاً ويوبخه، ويأسف لما أصاب وحشية من قسوة عمها، ويبين إصراره على لقاء وحشية :(٢)

ستبرأ من بعد الضمانة رجْلُها وتأتي الذي تهوى مُخَلَّى طريقُها
عليَّ هدايا البُدْنِ إنْ لم ألاقها وإنْ لم يكنْ إلا فُدَيْكٌ يسوقُها
يُحَصِّنُها مني فُدَيْكٌ سفاهَةً وقد ذهبتْ فيها الكباس وحُقُها
تذيقونَها شيئاً من النارِ كُلَّما رأتْ من بني كعبٍ غلاماً يروقُها

وظل الحبيبان يحنان إلى اللقاء ولكن هناك سدود وقيود، فكان يكتب إليها معبراً عن حبه لها وشوقه إليها، فهو يحبها في كل حين، فهي في ذاكرته وعقله يتفكر فيها نهاراً فيفرح ، فإذا جاء الليل هزه الشوق إليها، يقول : (٣)

أحبُّك أطرافَ النهارِ بشاشةً وبالليلِ يدعوني الهوى فأُجيبُ
لئنْ أصبحتْ ريحُ المودَّةِ بيننا شَمالاً لَقِدْماً كنتِ وهي جنوبُ

فأجابته وحشية تبادله حباً بحب :

---

(١)الأغاني ٨/ ١٨١ . عنيقها: سيرها السريع، وهو وصف لسير الإبل والخيل. القمن: الجدير.

(٢) الضمانة: الإصابة بعاهة أوعلة. الحوق: الإطار المحيط بالشيْ المستدير حوله .

(٣)الأغاني ٨/ ١٧٢ .

أحِبُّكَ حُبَّ اليأسِ إنْ نفعَ الحيا وإنْ لم يكنْ لي من هواكَ طبيبُ

ويحرم يزيد من لقاء حبيبته فقد حاصره الأهل والرقباء، وهي تخشى الوشاة والأهل والمتربصين فامتنعت منه وبعدت عنه، فصار يشكو ويتحسر ويسألها أن تجود عليه بنظرة تشفي غليله : (١)

هل إلى نظرة إليكِ سبيلُ فيروى الظما ويشفى الغليلُ

إنَّ ما قَلَّ منكِ يكثُرُ عندي وكثيرٌ ممن يحبُ القليلُ

وصار يزيد ووحشية كلاهما يتقي أحاديث الوشاة والعاذلين، فيبعدان عنهما الأنظار ولا يظهران ما يكنان من مودة ووجد، فهي إذا حضرت مجلساً لا تتجمل، وهو إذا رآها لا يظهر تحيتها حذراً من أعين الرقباء : (٢)

إذا نحن جئنا لم تجمَّلْ بزينةٍ حذارَ الأعادي وهي بادٍ جمالُها

ولا نبتديها بالسلامِ ولم نقلْ لهم من توقي شرهم: كيفَ حالُها

وقد لقي يزيد في حب وحشية العَنَتَ والعذاب، فقد شكا قومُها بنو جَرْم أمرَه إلى صاحب اليمامة،وأنه يلتقي وحشية ويشبب بها، فكتب صاحب اليمامة إلى ثورأخي يزيد أن يؤدبه، فجعل ثور عقوبته حلقَ لِمَّته فحلقها فقال يزيد يتشكى ويصف شَعْرَه وما فيه من ترف وجمال تستحبه النساء : (٣)

---

(١)شرح ديوان الحماسة ١٣٤٢/٣ . (٢)وفيات الأعيان ٣٧٢/٦ .

(٣)الأغاني ١٨٧/٨ ـ ١٨٨ . اللمة: شعر الرأس المجاوز شجمة الأذن.

الحجناء:آلة للحلاقة ملتوية الطرف تشبه الموسى. غل وسطها: دخل فيه. رخصات: لينة ناعمة. المدرى: المشط يسرح به الشعر. ترف: تتلألأ.الشربة: شجرة الحنظل.

النجاء: السحاب. الذهاب: المطر الخفيف .

أقولُ لثورٍ وهو يحلقُ لِمَّتي بحجناء مردودٍ عليها نصابُها
ترفَّقْ بها ياثورُ ليس ثوابُها بهذا ولكنْ غيرُ هذا ثوابُها
ألا ربَّما يا ثورُ قد غَلَّ وسطَها أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خضابُها
وتسلُكُ مدْرى العاجِ في مُدْلَهِمَّةٍ إذا لم تُفَرَّجْ مات غَمَّاً صؤابُها
فراحَ بها ثـورٌ ترفٌ كأنَّها سلاسلُ درْعٍ خيْرُها وانسكابُها
مُنَعَّمةٌ كالشَّرْيَة الفَرْد جادها نجاءُ الثُّرَيَّا هَطْلُها وذهابُها
فأصبحَ رأسي كالصُّخَيْرةِ أشْرِفَتْ عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها

ويبقى يزيد يذكر وحشية وقد حيل بينه وبينها، وقد رحلت برحيل قومها فلا يملك إلا الشوق والحنين ويُنَفِّس عنهما بالبكاء والدمع الغزير رغم لوم اللائمين :(١)

تذكَّرْتُ ذاتَ الخالِ من فَرْطِ حُبِّها ضُحىً والقلاصُ اليَعْمَلاتُ بنا تخدي
فما ملكتْ عيناي حينَ ذكَرتُها دُموعَهما حتى انحدَرْنَ على خَدِّي
فأنَّبني صَحْبي وقالوا أمِنْ هوىً بكَيْتَ ولو كانوا همُ وجدوا وَجْدي
وقالوا لقد كُنَّا نعُدُّكَ مـرَّةً جليداً وما هذا بفعلِ فتىً جَلْـدِ
ألا لا تلوموني فلستُ وإنْ نأتْ بمُنْصَرِمٍ عنها هَوايَ ولا وُدِّي
ألم تعلما أنَّ الرَّعابيبَ لم تزَلْ مفاتينَ قبلي للكُهولِ وللمُرْدِ
فإنْ أغْوَ لا تُكْتَبْ عليكم غَوايَتي أجَلْ لاوإنْ أرشَدْ فليس لكم رشدي
وإنَّ لذاتِ الخالِ يا صاحِ زُلْفَةً ومنزِلَةً مـا نالَها أحَـدٌ عندي

وكانت نهاية الشاعر العاشق في إحدى المعارك في جيش الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ ، وكان يحمل راية قومه ضد بني حنيفة، وانهزم

---

(١)الزهرة ١/ ٤٣٢ .

القوم وصبر يزيد وظل يقاتل حتى نشب ثوبه في أصل شجرة فانقلب ، وتكاثر عليه بنو حنيفة فقتلوه(١)، وقالت أخته زينب بنت الطثرية ترثيه، وقيل أمه، وقيل الشعر لوحشية :(٢)

أرى الأثل من بطنِ العقيقِ مجاوري ... مقيماً وفد غالت يزيدَ غوائلُهْ
فتىً قُدَّ قَدَّ السيف لا متضائلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وبآذلُهْ
إذا نزل الضِّيفانُ كان عَذَوَّراً ... على الحيِّ حتى تستقلَّ مَراجِلُهْ
يسُرُّكَ مظلوماً ويُرْضيكَ ظالماً ... وكلُّ الذي حَمَّلتَهُ فهو حامِلُهْ
إذا جَدَّ عندَ الجِدِّ أرضاكَ جِدُّهُ ... وذو باطلٍ إنْ شئتَ ألهاكَ باطلُهْ
إذا القومُ أمُّوا بيتَهُ فهو عامدٌ ... لأفضلِ ما أمُّوا له فهو فاعلُهْ
سيبكيهِ مولاهُ إذا ما ترفَّعَتْ ... عن الساقِ عند الرَّوعِ يوماً ذلاذلُهْ

---

(١) الأغاني ٨/ ١٩٠ ـ ١٩١ ، وفيات الأعيان ٦/٣٧٣)

(٢)الأغاني ٨/١٩٢ . اللبات: النحر. البآذل :جمع بأذلة وهي اللحمة بين العنق والترقوة. العذور: القليل الصبر عما يريده. المراجل : القدور.

ابن ميادة وأم جحدر

وشاعر آخر من شعراء الغزل العفيف الذي أحب امرأة وحُرم منها فعاش يذكرها ويهيم بها حباً، وهي تبادله حباً بحب، ذلك هو الرَّمَّاح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم من بني ذبيان من قيس عيلان، نسب إلى أمه وعُرف بابن ميَّادة، وهي أم ولد بربرية صقلبية ، ويزعم ابن ميادة أن أمه فارسية، وذكر ذلك في شعره فقال : (١)

أنا ابن سلمى وجدي ظالمٌ وأمي حَصَانٌ أخلصَتْها الأعاجمُ
أليس غلامٌ بين كسرى وظالمٍ بأكرمِ مَنْ نِيْطَتْ عليهِ التمائمُ

وكان ابن ميادة يشعر بضعة نسبه من جهة أمه، وقد حُرم من الزواج من كرائم النساء، خطب امرأة من بني سلمى بن مالك بن جعفر من بني البُهثة، فأبوا أن يزوجوه وقالوا: أنت هجين ونحن أشرف منك، فكان يتألم لذلك ويشكو قائلاً :

لقد حَرَّمَتْ أمي عليَّ عَدِمْتُها كرائمَ قومي ثم قلَّةُ مالِيا

ولعل ذلك كان سبباً في شدته وكثرة خصومه فكان شاعراً هجَّاءً، وأكثر شعره في الهجاء والمديح ، فقد مدح الولاة والخلفاء الأمويين وبخاصة الوليد بن يزيد.

كان ابن ميادة شاعراً من الشعراء المقدمين في عصره فهو كما وصفه

---

(١) الأغاني ٢/٢٥٦ .

(٢) الديوان ص٢٣و ٢٣٩ جمع وتحقيق حنا حداد، ط مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٢ .

النقاد بأنه: " شاعر فصيح جيد الغزل، ونمطه نمط الأعراب الفصحاء، وكان مطبوعاً "(١)، وقد عده الأصمعي من ساقة الشعراء، أي آخر الشعراء الذين يجوز الاحتجاج بشعرهم، وهم : ابن ميادة، وابن هرمة، ورؤبة، وحكم الخضري، ومكين العذري (٢)، ووصفه بعضهم بأنه شاعر مشهور، وشاعر محسن (٣). أما شخصية ابن ميادة فقد كان فيها ما أهَّلته أن ينزل من نفوس النساء ويجد عندهن الرضا والقبول، بل تهفو إليه بضعة نساء تغزل بهن، فقد كان فيه من الصفات التي غطت على وضاعة النسب، وُصف ابن ميادة بأنه كان : أحمر سَبِطاً عظيم الخلق سبط الشعر طويل اللحية ، وكان لبَّاساً عطراً (٤)، وهذه الصفات التي وُهِبُها ابن ميادة من الحسن والجمال وكمال الرجولة، جعلت النساء تفضله وتهفو نفوسهن إليه، وقد ظهر أثر ذلك في شعره الغزلي ففي ديوانه جملة قصائد يتغزل فيها بأكثر من امرأة، منهن : سعدى، ومي، وزينب، وليلى، وسلمى، وحُسَيْنة، وغيرهن، وقد تكون هذه الأسماء رموزاً لامرأة واحدة ، حماية وتغطية عن المرأة التي يحبها ،ولكنه ما أحب وعشق امرأة وهام بها مثل هيامه بأم جحدر، التي أحبها وأحبته، وملكت عليه عواطفه وتفكيره وكان حبه لها حباً صادقاً عفيفاً، فمن هي أم جحدر ؟

هي امرأة من بني مُرَّة تعرف بأم جَحْدَر بنت حسان المرية، أحبها ابن ميادة وذكر قصة حبهما في رواية نقلها الأصفهاني فيها طرافة وخرافة ، قال ابن

---

(١)ابن المعتز ـ طبقات الشعراء ص ١٠٨ .

(٢)فحولة الشعراء ص ٥٣ تحقيق خفاجي والزيني، ط المنيرية بالقاهرة ١٩٥٣ .

(٣)المؤتلف والمختلف ص ١٨٠ .

(٤)أنساب الأشراف ص ١٢/٥ ط القدس ١٩٣٦، الأغاني ٢٦٤/٢ .

ميادة :(١) " كانت أم جحدر امرأة من عشيرتي فأعجبتني، وكانت بيني وبينها خُلَّة، ثم إني عتبتُ عليها في شيء بلغني عنها، فأتيتُها فقلت : يا أم جَحْدر إن الوصل عليك مردود، فقالت : ما قضى الله فهو خير، فلبثتُ على تلك الحال سنة، وذهبتْ بهم نُجعة فتباعدوا، واشتقتُ إليها شوقاً شديداً، فقلت لامرأة أخٍ لي : والله لئن دَنَتْ دارنا من أم جحدر لآتيَنَّها ولأطلُبَنَّ أن ترد الوصل بيني وبينها، ولئن ردته لا نقضته أبداً " وبعد أيام رجع قوم أم جحدر، فاشتاق ابن ميادة إلى لقائها وترضيَتِها، فغدا إلى منزلها فوجد امرأتين جالستين بين بيتين، فسلم فردتْ واحدة ولم ترد الأخرى، وكانت التي ردت عليه امرأة أخيها والساكته أم جحدر، فسألتْهُ عن سبب قدومه فأخبرها أنه جاء يسترضي أم جحدر، فجمعت امرأة أخيها بينهما، وتبادلا العتاب والوجد وحسنت الحال، ولم يعكر صفوَهُما إلا نعيبُ غراب على رأس جبل، فشَهِقَتْ أمُّ جحدر وتغيَّر وجهها وتشاءمت وقالت: أرى الغرابَ يخبرني أنَّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلا ببلد غير هذا البلد، فمكث معها غير قليل ثم سار إلى أهله، وبعد يومين اشتاق إليها فقصدها فلم يجدها، ووجد امرأة أخيها فأخبرته بأن أم جحدر قد تزوجت البارحة من رجل من أهل بيتها من أهل الشام، فاحتملها وضرب لها سرادقات، قال الرمَّاح : فمضيتُ إليهم، وجلست إلى زوجها فأنشدته وحدَّثته، وعدت إليه أياماً، ثم احتملها وذهب بها .

وبقي ابن ميادة بحسرته وأشواقه، ولم يملك إلا أن ينشد بعدها :(٢)

أجارَتَنا إنَّ الخُطوبَ تنوبُ علينا وبعضَ الآمنينَ تُصيبُ

---

(١)الأغاني ٢/٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٢)الديوان ص ٦٨ ـ ٦٩، الأغاني ٢/ ٢٧٠ . عسيب: جبل بعالية نجد .

أجارَتنا لستُ الغَداةَ ببارحٍ ولكنْ مقيمٌ ما أقامَ عسيبُ
فإنْ تسأليني هل صبَرتَ فإنني صبورٌ على رَيْبِ الزمانِ صليبُ

ويذكر كلامها حين تشاءمت من نعيب الغراب :

جرى بانبتات الحبلِ من أمِّ جَحْدَرٍ ظباءُ وطيرٌ بالفراقِ نَعُوبُ
نظرتُ فلم أعْتَفْ وعافتْ فبيَّنَتْ لها الطيرُ قبلي واللبيبُ لبيبُ
فقالتْ حرامٌ أنْ نُرى بعدَ هذه جميعَيْنِ إلا أنْ يُلِمَّ غريبُ
أجارَتَنا صبراً فيا رُبَّ هالكٍ تقَطَّعُ من وَجْدٍ عليه قلوبُ

وظل الرمَّاح يحن إليها ويلهج بذكرها ، ويتمنى لقاءها كما كان يلقاها ،ويذكر أيامه معها وطيب حديثها وأنه يقصر حديثه ليستمتع بالإصغاء إليها ففي حديثها عذوبة وحلاوة ويعاهد نفسه على الوفاء لها رغم بعادها : (١)

ألا ليتَ شعري هل إلى أم جحدرٍ سبيلٌ فأما الصبرُ عنها فلا صبرا
فإنْ يكُ نذرٌ راجعاً أمَّ جَحْدرٍ عليَّ لقد أوذَمْتُ في عُنقي نَذْرا
وإني لأستثني الحديثَ من اجلها لأسمعَ منها وهي نازحةٌ ذكرا
وإني لأستحيي من الله أن أرى إذا غدر الخُلاَّنُ أنوي لها غدرا

وقد كان يحاول زيارتها سراً بعيداً عن أعين الرقباء وكانت تشفق عليه مما يضمر له وشاة قومها من حقد وغدر :(٢)

وقالت : حَذارِ القومَ إنَّ صدورَهم وعَيْنَيْ أبي حِقْداً عليكَ تفورُ
فقلتُ لها: قد يُؤخَذُ الظبيُ غِرَّةً وتُصْطادُ شاةُ الكلبِ وهو عَقورُ

وعاش ابن ميادة على ذكرى حبيبته وقد رحلت عنه وحيل بينه وبينها ،

---

(١)الديوان ص١٣٤ ، الأغاني ٢/٢٧٢ .أوذمت: أوجبت .
(٢)الديوان ص ١٢٧ .

فهو دائم الشوق كثير الحسرات متلهف لرؤيتها، يصبره الأهل والخلان ولكن هيهات، فقد بعدت وتقطعت بينهما السُّبُل :(١)

يُمَنُّونني منكِ اللقاءَ وإنَّني لأعلمُ لا ألقاكِ من دونِ قابلِ
إلى ذاكَ ما حارتْ أُمورُكَ وانجلَتْ غيابَةُ حُبِّيْكِ انجلاءَ المخايلِ
إذا حَلَّ أهلي بالجَنابِ وأهلُها بحيثُ التقى الغُلاَّنُ من ذي أرائلِ
أقُلْ خُلَّةٌ بانَتْ وأدبرَ وصْلُها تقَطَّعَ منها باقياتُ الحبائلِ
وحالت شُهورُ الصيفِ بيني وبينَها ورفعُ الأعادي كُلَّ حقٍّ وباطلِ

وقد ضاق بعذاله ولومهم في نسيان حبيبته، فإن لومهم يقع في قلبه وقع السهام، فكيف ينساها ويسلو عنها وهي ريحانة طيبة الريح لها محاسن وسجايا ليست في غيرها من النساء :(٢)

أقولُ لعَذَّاليَّ لما تقابلا عليَّ بلومٍ مثلِ طعنِ المعابلِ
لا تُكْثِرا عنها السُّؤالَ فإنَّها مُصَلْصلَةٌ من بعضِ تلكَ الصَّلاصلِ
من الصُّفْرِ لا ورْهاءُ سَمْجٌ دلالُها وليسَتْ من السُّودِ القِصارِ الحَوائلِ
ولكنَّها رَيْحانةٌ طابَ نَشْرُها وَرَدْتُ عليها بالضُّحى والأصائلِ

ويتمنى أن تعود أيامه معها ولكن هيهات فقد بعدت ولم يبق له إلا الشوق والحنين وتذكر أيامه وأحاديثه وإياها ، حين يرقد أو يستفيق من رقدته، ومنظرها وهي تذرف الدموع ساعة الوداع وتنصحه أن يسر بحاضره ولا

---

(١)الديوان ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .الغيابة:كل ما أظلك من سحاب وغيره. المخايل: السحب التي يظن أنها ممطرة . الغلان: منابت شجر الطلح.الجناب وأرائل: موضعان.
(٢)الديوان ص ٢٠٥ .المعابل: جمع معبلة: النصل الطويل العريض. مصلصلة: مصوتة كصوت الحمام. الورهاء: الخرقاء في عملها. السمج: الذي لا ملاحة فيه . الحوائل : المتغيرات اللون .

يحزن بما هو آت فالأيام المقبلة طويلة فيها آلام وحسرات :

ولم يبقَ مما كان بيني وبينها من الوُدِّ إلا مُخْفَيات الرسائلِ
وإني إذا استَنْبَهْتُ من حُلْوِ رقْدَةٍ رُمِيْتُ بحُبَّيْها كَرَمْيِ المناضلِ
فما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها وأَدْمُعُها يُذْرِيْنَ حَشْوَ المكاحلِ
تَمَتَّعْ بـذا اليومِ القصيرِ فإنَّهُ رهينٌ بأيامِ الشهورِ الأطـاولِ

وكان ابن ميادة يسلي نفسه بالذكريات أيام كان يراها ويحدثها ويستمع إلى أحاديثها الحلوة، فكان يحدث بعض أصحابه أن لقاءه بها مهما طال فهو قصير، ومما حدث به أنه قال : " إني لأعلم أقصر يوم مرَّ بي من الدهر، قيل له : وأيُّ يوم هو؟ قال : يوم جئتُ فيه أم جحدر باكراً فجلستُ بفناءِ بيتها، فدعتْ لي بعُسٍّ من لبن، فأُتيتُ به وهي تحدثني، فوضعتُه على يدي، وكرهتُ أنْ أقطعَ حديثها إنْ شربت، فما زال القدحُ على راحتي وأنا أنظر إليها، حتى قالت لي عجوز: ألا تصلي يابن ميادة لا صلى الله عليك، فقد أظلك صدر النهار، ولا أحسب إلا أنني في أول البُكرة، قال : فكان ذلك آخر يوم كلمتها فيه حتى زوجها أبوها، وهو أظرف ما كان بيني وبينها " .(١)

وظل الرماح يلهج بذكرها ويشتاق لرؤيتها، فرحل إلى الشام طالباً الوصول إليها، فدار في الشام زماناً حتى وصل إلى زوجها، وقد كانت عليه إمارات الجهد وغبار السفر، فاقترح عليه زوجها أن تُرسَل ثيابُه إلى بيته لتغسل، وانتظر ابن ميادة خروج الجارية بالثياب، فأخبرت أم جحدر جاريتها أن تعلمها إذا جاء، فلما اقترب من الجارية كانت أم جحدر وراء الباب

---

(١)الأغاني ٢ ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

تحادثه وتعاتبه على حماقته وتهوره، فقد يفطن الزوج وينكشف السر، فقالت : ويحك يا رمَّاح ! قد كنتُ أحسبُ أنَّ لك عقلاً ! أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفُسُنا عنه ؟ انصرف إلى عشيرتك، فإني أستحي لك من هذا المقام، فانصرف خائباً نادماً وكان يمني النفس أن يلقاها ويتحدث إليها ويبثها أشواقه ومواجده، وعاد يمني نفسه في لقائها إذا ماحجت فيجمعهما الطريق ويسر منها بنظرة أو همسة حين تزدحم الركبان :(١)

عسى إنْ حَجَجْنا أنْ نرى أم جحدرٍ ويجمعَنا من نخلتين طريقُ
وتصطَكُّ أعضادُ المطيِّ وبينَنا حديثٌ مُسَرٌ دونَ كلِّ رفيقِ

ويبدو أن أم جحدر لم تسعد بزواجها طويلاً، فقد توالت عليها الفواجع فقدفجعت بموت زوجها ثم موت ولدها منه، فقدمت نجداً على أخوتها وقد مات أبوها(٢)، ولم تمكث غير قليل حتى توفيت، ويبدو أن ابن ميادة كان بعيداً عنها، وحين سمع بوفاتها اظلمت بعينيه الدنيا وتمنى الموتَ بعدها، فقال يبكيها :(٣)

خَلَتْ شُعَبُ المَدْور لستَ بواجدٍ به غيرَ بالٍ من عضاهٍ وحَرْمَلِ
تمَنَيْتَ أن تلقى به أُمَّ جَحْدَرٍ وماذا تَمَنَّى من صدىً تحتَ جَنْدَلِ
فلَلْمَوتُ خيرٌ من حياةٍ ذميمةٍ وللبُخلُ خيرٌ من من عَناءٍ مُطَوَّلِ

وبقي ابن ميادة بعدها حزيناً كئيباً ولم يطل به العمر فقد توفي في حدود سنة ١٤٩ هـ ، في صدر خلافة أبي جعفر المنصور العباسي .

---

(١)الديوان ص ١٧٥ ، الأغاني ٢/٢٧١ . (٢)الأغاني ٢/٣٧٣ .

(٣)الديوان ص ٢١٢ ـ ٢١٣ . المدور: موضع في ديار غطفان . العضاه: اسم يقع على شجر من شجر الشوك. الحرمل: نبت له حب كالسمسم. الصدى: جسد الإنسان بعد موته .

عبد الرحمن القس وسلامة

وهذا عاشق من الزهاد الناسكين ، أحب حباً صادقاً عفيفاً، مع حرصه على طهره وتُقاه، أحب بأذنه قبل أن يحب ببصره، فأسره الحب ووقع في حيرة وصراع بين القلب والعقل . وتختلف قصة هذا العاشق عن بقية العشاق العذريين بأن أولئك كانوا يسألون محبوباتهم الوصل واللقاء وهن يتمنعن ويبخلن، أما هذا فقد كانت حبيبته تسأله وتلاحقه وهو يتمنع ويتهرب ورعاً وعفَّة، وكان العذريون قبله قد شهروا بحبيباتهم وصارت أسماؤهم مقرونة بأسماء حبيباتهم فقالوا مجنون ليلى، وقيس لبنى، وجميل بثينة، وكثير عزة، وهكذا، أما شاعرنا هذا فقد لحق اسمه باسم حبيبته وغلب عليها، لما شاع شعر عبد الرحمن فيها، فصارت تعرف به فقالوا: سلامة القس . فما قصة هذا العاشق الطاهر .

هو عبد الرحمن بن أبي عمَّارالجشمي من بني جُشَم بن معاوية، لقب بالقس لكثرة عبادته، وكان منزله بمكة، وكان يُشَبَّه بعطاء بن أبي رباح(١) ، سمع غناء سلامة على غير قصد منه، فبلغ غناؤها منه كل مبلغ، فشُغِفَ بها قبل أن يراها.(٢)

أما سلاَّمة : فكانت وأختها حبَّابة جاريتين من قيان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين، وكانت سلاَّمة أحسنهما غناءً، وحبَّابة أحسنهما وجهاً، وكانت سلامة تقول الشعر، وكانت حبابة تتعاطاه فلا

---

(١)تابعي من أجلاء الفقهاء، ولد في جَنَد باليمن ، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، توفي بمكة سنة ١١٤ هـ .

(٢) الأغاني ٨/ ٣٤٨ .

تحسن، وكانت سلامة جارية لسهيل بن عبد الرحمن، ولها يقول عبيد الله بن قيس الرقيات : (١)

لقد فتنت ريًّا وسلامةُ القسَّا فلم تتركا للقسِّ عقلاً ولا نفسا
فتاتانِ أمَّا منهما فشبيهةُ الـ ـهلالِ وأخرى منهما تُشْبِهُ الشَّمْسا

ويقول ابن الرقيات فيهما أيضاً :

أختانِ إحداهما كالشمسِ طالعةً في يومِ دَجْنٍ وأُخرى تُشْبِهُ القَمَرا

وكانت سلامة مغنية حاذقة جميلة ظريفة تقول الشعر، وقد شهرت بخصال ميزتها: حسن وجهها، وحسن غنائها وحسن شعرها .

وكان سبب افتتان القس بسلامة أنه سمع غناءها على غير قصد منه لذلك، فبلغ غناؤها منه كل مبلغ، وكان في المدينة دور للغناء والطرب يحضرها بعض أهل المدينة ومن يفد إليها من المدن الأخري، فعلم مولاها بما وقع فيه القس من عشق سلامة حين سمع غناءها، فأشفق عليه وأراد أن يخفف مما هو فيه، فقال للقس: هل لك أنْ أُخرجها إليك ؟ أو تدخل فتسمع ، فأبى القس، فقال مولاها: أنا أقعدها في موضع تسمع غناءها ولا تراها، فأبى أيضاً، ولم يزل الرجل به حتى أخرجها وأقعدها بين يديه، فتغنَّتْ، فشُغِفَ بها وشُغِفَتْ به، وعرف ذلك أهل مكة، وصار يعبر عما يعانيه من الافتتان بها والميل إليها، وهو في صراع بين نسكه وحبه :(٢)

أهابُكِ أنْ أقولَ بذلتُ نفسي ولو أنِّي أطيع القلبَ قالا
حياءً منكِ حتى سُلَّ جسمي وشَقَّ عليَّ كتماني وطالا

وتكرر بينهما اللقاء وتمكن الحب من قلبيهما، فأفصحت سلامة عن

---

(١) الأغاني ٣٤٨/٨ . ديوان ابن قيس الرقيات ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢)الأغاني ٨/ ٣٤٨ .

حبها ووجدها به فقالت له يوماً : أنا والله أُحبُّكَ ! قال: وأنا والله أُحبك ! قالت : وأُحبُّ أن أضعَ فمي على فمك، قال: وأنا والله أحب ذاك. قالت : فما يمنعك ! فوالله إن الموضع لخالٍ، قال : إني سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ الأخلاَّءُ يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين ﴾(١)، وأنا أكره أن تكون خُلَّةُ ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة، ثم قام وانصرف، وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك، وقال يصف ما حل به وحالها وحاله ، وقيل إنه أنشدها هذا الشعر وطلب أن تغنيه فيه :(٢)

ما بالُ قلبكَ لا يزالُ يُهيمُهُ ذكْرٌ عواقبُ غَيِّهنَّ سَقامُ
إنَّ التي طرقَتْكَ بينَ ركائبٍ تمشي بمزهَرِها وأنتَ حرامُ
لَتَصيدُ قلبَكَ أو جزاءَ مودَّةٍ إنَّ الرفيقَ له عليكَ ذمامُ
باتَتْ تُعَلِّلُنا وتحسبُ أنَّنا في ذاكَ أيقاظٌ ونحنُ نيامُ
حتى إذا سطَعَ الضياءُ لناظرٍ فإذا وذلكَ بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذُلُ في السفاهة أهلَها فاعْجَبْ لما تأتي به الأيامُ
فاليومَ أعذرهمْ وأعلمُ أنما سُبُلُ الضلالة والهُدى أقسامُ

ويعود إلى نفسه ويتفكر في جمال صوتها ويتأمل في حسن أدائها وإبداعها وهي تترنم في أهازيجها الساحرة:(٣)

ألم تَرَها لا يُبْعدُ اللهُ دارَها إذارَجَّعَتْ في صوتها كيفَ تصنعُ
تمُدُّ نظامَ القولِ ثم تَرُدُّهُ إلى صَلْصَلٍ في صوتها يترَجَّعُ

---

(١)سورة الزخرف ٦٧ .
(٢)الأغاني ٣٤٩/٨ .
(٣)الأغاني ٣٤٩/٨ . رجعت في صوتها: رددته في حلقها. الصلصال : ترجيع الصوت .

وبقي القس حائراً مبتلى، فهو لا يستطيع أن يكتم حبه مهما حاول، فقد تفضحه عبراته ووجده بها وحنينه إليها، وعرف الناس وشاع أمره في حب هذا الزاهد العابد لجارية تغني فتطرب الناس وتشيع في نفوسهم البهجة والحبور، وقد لامه اللائمون وقد يعذره من ذاق لذعة الحب وحرارة الوجد، ولا يملك إلا أن يلجأ إليها ويشكو لهاما يعانيه من حبها :

سلاَّمُ هل لي منكمُ ناصرُ أم هل لقلبي عنكمُ زاجرُ
قد سَمِعَ الناسُ بوجدي بكم فمنهمُ اللائمُ والعاذرُ

ويسمع بسلامة وحلاوة إنشادها الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك، فيأمر بشرائها، وترحل سلامة إلى الشام، ويبقى القس مشغوفاً بها متحسراً عليها، يتشوق إليها ولا يستطيع عنها صبراً، ولا يظن أنه يستطيع الحياة بعدها ،ويمنى نفسه أن يجلس إليها ويستمع إلى صوتها وهي ترجعه بالنشيد، هذا الصوت الذي هو هديل حمام ساحر، ولكن هيهات، فقد رحل الحبيب :(١)

ألا قلْ لهذا القلب هل أنتَ مُبْصِرُ وهل أنتَ عن سَلاَّمةَ اليومَ مُقْصِرُ
ألا ليتَ أنِّي حينَ صارتْ بها النَّوى جليسُ لسلمى كلَّما عَجَّ مِزْهَرُ
وإني إذا ما الموتُ زالَ بنفسها يُزالُ بنفسي قبلَها حين تُقْبَرُ
إذاأخذتْ في الصوت كادَجليسُها يطيرُ إليها قلبُهُ حين ينظرُ
كأنَّ حماماً راعبياً مؤدِّياً إذا نطقتْ من صدرها يتغشمرُ

ويقال إن يزيد بن عبد الملك حين اشتراها أمرها أن تغنيه فغنته بشعر

---

(١)الأغاني ٨/ ٣٥٠ و٣٥٣ . عج : رفع صوته وصاح. المزهر: العود الذي يضرب به . الحمام الراعبي: جنس من الحمام جميل الصوت . يتغشمر: يصوِّت .

القس هذا، فقال لها يزيد: يا حبيبتي، من قائلُ هذا الشعر؟ فقصَت عليه قصتها مع عبد الرحمن القس، فرقَّ له ولها، فقال: أحسنَ وأحسنتِ.

ويشكو القس بعد رحيلها لها حاله وأحزانه وما صار إليه بعد فراقها وبعادها:

سلاَّمَ وَيْحَكِ هل تُحبينَ مَنْ ماتا أو ترجعينَ على المحزون ما فاتا

وانقطعت أخبار سلامة عن عبد الرحمن القس وتوفيت في دمشق سنة ١٣٠ هـ، أما عبد الرحمن فقد بقي كئيباً حزيناً بعد رحيلها يجتر الذكريات ويذرف الدموع حتى توفي دون أن ندري هل مات قبل سلامة أم بعدها.

وهكذا طويت قصة حب طاهر عفيف بين فنانة بارعة وعابد ناسك من الصالحين.

وضاح اليمن وروضة

شاعر من شعراء الغزل العفيف من شعراء اليمن، اسمه عبد الرحمن بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد، توفي أبوه وهو صغير فربَّتْه أمه وكانت فارسية الأصل، تزوجت رجلاً من قومها، ونشأ وضاح وشب في حجر زوج أمه، ثم طالب به أهل أبيه فحكم لهم فأخذوه، سمي وضاحاً لجماله وبهائه، فلما بلغ مبلغ الرجال كان يتقنَّع، كما كان يتقنع بعض من وُسموا بالجمال خوف العين، وحذراً على أنفسهم من النساء لجمالهم، فكانوا يسترون وجوههم، حين يحضرون مواسم العرب، ومن هؤلاء وضاح اليمن والمقنَّع الكندي، وأبو زبيد الطائي (١)، وبسبب من جماله هذا حيكت حول حياته أسطورة مفادها: أن أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، استأذنت زوجها في الحج، فأذن لها، وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحد منهم، فلما قدمت مكة، بعثت إلى كثَيِّر عزة وإلى وضاح اليمن أن يَنْسُبا بها، فأما وضاح اليمن فإنه ذكرها وصرَّح بالنسيب بها، وأما كُثَيِّر فعدل عن ذكرها ونسب بجاريتها غاضرة، فغضب الوليد على وضاح اليمن وقتله، وتبالغ الرواية فتزعم أن أم البنين عشقت وضاحاً، فكانت حين رجعت إلى الشام ترسل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها، فإذا خافت وارته في صندوق عندها وأقفلت عليه، واتفق أن أُهدي للوليد جوهر له قيمة، فأعجبه واستحسنه، فبعث به بيد خادم إلى أم

---

(١) الأغاني ٦/ ٢٢٤ .

البنين، فدخل الخادم عليها مفاجأة ووضاح عندها، فأدخلته الصندوق والخادم يري، فدفع لها الجوهر وطلب منها قطعة منه فطردته، فوشى بها عند الخليفة ، فدخل الوليد عليها ورآها تمتشط، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه فجلس عليه وقال لها: هبي لي هذا الصندوق فوهبته له بعد تمنع، فأخذه إلى مجلسه ونحَّى البساط، وأمر العبيد أن يحفروا بئراً عميقة ثم دعا بالصندوق وقال : يا هذا، إنه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد كفَنَّاك ودفنَّاك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلاً فإنَّا دفنا الخشب، وما أهون ذلك، ثم قذف به إلى البئر وهِيلَ عليه التراب، ورُدَّ البساط إلى حاله وجلس عليه الوليد. قيل: ثم ما رُئي بعد ذلك اليوم لوضاح أثر في الدنيا. (١)

إن لقاء وضاح اليمن أم البنين في مكة ،ومدحها أو التغزل بها أمر محتمل ومعقول، وله أكثر من قصيدة في الغزل بها، ثم في مديح الوليد حين قصده في الشام، وأما قصة دخوله إلى القصر في حجرة أم البنين فهذه أسطورة لا تعقل وهي من الروايات التي قيلت في العصر العباسي للنيل من الأمويين، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني : " أنه وقع بين رجل من زنادقة الشعوبية وبين رجل من ولد الوليد بن عبد الملك فَخَارٌ خرجا فيه إلى أن أغلظا المُسَابَّة، وذلك في دولة بني العباس، فوضع الشعوبي عليهم كتاباً زعم فيه أنَّ أم البنين عشقت وضَّاحاً ، فكانت تدخله صندوقاً عندها فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه، وأراه الصندوق فدفنه " .(٢)

---

(١)الأغاني ٦/٢٣٨ .

(٢)الأغاني ٦/ ٢٣٧ .

هذا الجانب الأسطوري الخرافي من حياة وضاح اليمن، وهو جانب يرفضه العقل والنقل. أما الجانب الآخر وهو حياة وضاح اليمن وحبه الصادق العفيف، فهو حبه لروضة وشعره فيها، أحب وضاح امرأة من بنات الفرس من أهل اليمن يقال لها روضة ، فذهبت به كل مذهب، فلما اشتهر أمره معها، وشاع شعره فيها، خطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها، وزوجوها غيره، وعاتبه أهله وعشيرته، فقال يذكر حبه لروضة وعذل العاذلين فيها: (١)

يا أيها القلبُ بعضَ ما تَجدُ قد يعشقُ المرءُ ثم يتَّئدُ
قد يكتمُ المرءُ حُبَّهُ حقَبَاً وهو عميدٌ وقلبُهُ كَمِدُ
ماذا تُريدينَ من فتىً غَزِلٍ قد شَفَّهُ السّقْمُ فيك والسَّهَدُ
يهددُّوني كيما أخافَهُمُ هيهاتَ أنّى يُهَدَّدُ الأسدُ

ويشتاق إلى روضة ويذكر أشواقه لها وما فعل حبها به، ويبين مكانتها وترفها، وينسبها إلى نفسه فيجعلها روضة الوضاح :(٢)

أيا روضةَ الوضّاحِ يا خيرَ روضةٍ لأهلك لو جادوا علينا بمنزلِ
رهينُك وضّاحٌ ذهَبْتِ بعقله فإنْ شئتِ فاحييه وإنْ شئتِ فاقتلي
وتوقدُ حيناً باليلنْجوجِ نارَهَا وتوقِدُ أحياناً بمسْكٍ ومَنْدَلِ

ويرى حمامتين تتناجيان، فيشتاق إلى حبيبته روضة، ويتمنى أن يناجيها ويحدثها كهاتين الحمامتين، ويعلم أنها تخشى الرقباء والوشاة ،

---

(١)ديوان وضاح اليمن ص ٢٣ جمع وتحقيق انطوان القوال، ط دار الفكر العربي، بيروت ٢٠٠٣ ، الأغاني ٦/ ٢٢٥ .

(٢)الديوان ص ٤٧ ، الأغاني ٦/ ٢٢٧ . اليلنجوج: عود البخور. المندل والمندلي: عود الطيب يتبخر به .

ويخشى أن تنصت إليهم فتتبدل وتسلو عنه، فإنها إن فعلت ذلك لا يستطيع الصبر ويكاد يجن، ويحدثها وتحدثه في محاورة طريفة وبأسلوب سهل فهو حديث الأحبة والمتناجين : (١)

إني تُهَيِّجُني إليـ ـكِ حمامتانِ على فَنَنْ
الزوجُ يدعو إلفَهُ فتطاعما حُبَّ السكنْ
لا خيرَ في نَـثِّ الحديـ ـثِ ولا الجليسِ إذا فَطَنْ
فاعْصِ الوشاةَ فإنَّما قولُ الوشاةِ هو الغَبَنْ
إنَّ الوشاةَ إذا أتَو كِ تَنَصَّحوا ونَهَوْكِ عَنْ
دَسَّتْ حُبَيْبَةُ مَوْهناً إني وعيشكِ يا سَكَنْ
أبلغْتُ عنكِ تَبَذُّلاً وأتى بذلكَ مؤتَمَنْ
وظَنَنْتُ أنَّكِ قد فعلـ ـتِ فكدْتُ من حَزَنٍ أُجَنْ
ذرفَتْ دموعي ثم قلـ ـتُ بَمَنْ يُبادلني بِمَـنْ

ويخاطب من جاءه بخبر تغيرها وتصديقها الوشاة، فيرده ويكذبه ويبين تمكن حب روضة من قلبه :

اسكت فلستَ مُصَدَّقاً ما كان يفعلُ ذا أظنْ
لو قيلَ يا وضَّاحُ قُـمْ فاخْتَرْ لنفسكَ أو تَـمَنْ
لم أعْدُ روضَةَ والذي ساقَ الحجيجُ له البُدُنْ

يذكر أيامه الجميلة وإياها وكيف كان يزورها فيسعد بلقائها، ويصف شوقها له وحنينها إليه وتعلقها به :(٢)

---

(١)الديوان ص ٥٣ ـ ٥٤ ، الأغاني ٦/ ٢٢٧ . نث الحديث : نشره. نهوك عنْ : أي عني. البدن : جمع بدنة، من الإبل والبقر، كالأضحية من الغنم تُهدى إلى مكة .

(٢)الديوان ص ١٩ ، الأغاني ٦/٢٤٦ .

حَيِّ التي أقصى فؤادكَ حَلَّت عَلِمتْ بأنَّكَ عاشقٌ فأدلَّت
وإذا رأتْكَ تقَلْقَلَتْ أحشاؤها شوقاً إليكَ فأكثرتْ وأقَلَّت
وإذا دخلتُ فأُغلقَتْ أبوابُها عزمَ الغيورُ حجابَها فاعتَلَّت
وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صَبابةً حتى تبُلَّ دموعُها ما بَلَّت
إنْ كنتَ ياوضاحُ زُرْتَ فمرحباً رَحُبَتْ عليكَ بلادُنا وأظَلَّت

ويرحل وضاح إلى الشام، فيذكر حبيبته ويشتاق إليها فيبثها أشواقه، ويذكر مايعانيه من حنين إليها على البعد، ويتمنى أن تكون الرياح رسولَه إليها، فتحمل إليها إشواقه وأشعاره، وتأتي منها بردها وحديثها، ثم يذكر حاله وما فعل به حبها من الوجد والضى، فقد صار ضعيفاً وقد وخط الشيبُ رأسَه، فهو يحبها في قربها منه حيث يلفهما الوطن، ويحبها وهو بعيد عنها، فلا تغيره بعد المهامه والقفار: (١)

أبَتْ بالشام نفسي أن تطيبا تـذكَّرْتُ المنازلَ والحبيبا
تذكرتُ المنازلَ من شَعوبٍ وحَيَّاً أصبحوا قُطعوا شُعوبا
سَبَوا قلبي فحَلَّ بحيثُ حَلُّوا ويُعظمُ إنْ دَعَوا ألاَّ يُجيبا
ألا ليتَ الرياحَ لنا رسولٌ إليكم إنْ شَمالاً أو جَنوبا
فتأتيكم بـما قلنا سريعاً ويبلُغَنا الذي قلتم قريبا
ألا يا رَوضُ قد عذَّبْت قلبي فأصبحَ من تذكُّركمْ كئيبا
ورَقَّقَني هواكِ وكنتُ جَلْداً وأبدى في مفارقيَ المشيبا
أما يُنسيكَ روضةَ شحطُ دارٍ ولا قُرْبُ إذا كانت قريبا

وكان وهو بعيد دائم التفكير فيها يراها في يقظته وفي منامه، يزوره

---

(١)الديوان ص ١٧، الأغاني٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

طيفها إذا ما غفا فيهيج أشجانه، فيناجيها وينفِّس عن مواجده وأحزانه : (١)

طرق الخيالُ فمرحباً سَهْلا ... بخيالِ مَنْ أهدى لنا الوَصْلا
وسرى إليَّ ودونَ منزله ... خمسٌ دوائمُ تُعْمِلُ الإبْلا
يا حبَّذا مَنْ زارَ معتسفاً ... حَزْنَ البلادِ إليَّ والسَّهْلا
حتى ألَمَّ بنا فبتُّ به ... أغنى الخلائقِ كلِّهم شَمْلا
والله ما لي عنكِ مُنْصَرَفٌ ... إلا إليكِ فأجملي الفعْلا

ولم تطل سعادته في حب روضة ومناجاتها والتغزل بمحاسنها، فقد عَدَتْ عليها العوادي، وأصيبت بمرض لا شفاء منه، فقد أصيبت بالجُذام وعُزلتْ مع المجذومين خوف نشر العدوى، وعَلِمَ وضّاح بمرضها فظل حزيناً لما أصابها شفيقاً عليها، كان يزورها ويعطف عليها ويواسيها، فقد رُوي : " أنه كان في سفرٍ مع أصحابه ، فبينا هو يسير إذ استوقفهم وعدل عنهم ساعة، ثم عاد إليهم وهو يبكي، فسألوه عن حاله فقال: عدلتُ إلى روضة ، وكانت قد جُذمَتْ فجُعلتْ مع المجذومين، وأُخرِجَتْ من بلدها، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْراً من نفقتي. وجعل يبكي غَمّاً بها " .(٢)

وبقي وضاح اليمن حزيناً كئيباً، وتقلبت به صروف الحياة حتى توفي سنة ٩٠ أو ٩٣ هـ .(٣)

---

(١)الديوان ص ٤١، الأغاني ٦/ ٢٣١ .
(٢)الأغاني ٦/ ٢٢٦ .
(٣) النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٦ .

obeikandl.com

مصادر الكتاب ومراجعه

(أ)

* الأعلام ـ الزركلي: خير الدين محمودبن علي بن فارس(ت ١٣٩٦ هـ).
الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م .

* الأغاني ـ الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) .
ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م .

* أمالي القالي ـ القالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٢٥٦ هـ).
ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٨ ، مصورة عن ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦م .

* أنساب الأشراف ـ البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٦٩ هـ) .
ط القدس ١٩٣٦م .

(ب)

* البيان والتبيين ـ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ـ ٢٥٥ هـ) .
تحقيق عبد السلام هارون، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ٤٨ ـ ١٩٥٠م .

(ت)

* تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان كارل .
ترجمة عبد الحليم النجار ، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٦١م .

* تاريخ الشعر العربي ـ نجيب محمد البهبيتي .
ط دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ .

* تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك) ـ الطبري : محمد بن جرير
(ت ٣١٠ هـ) . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر ٦٠ ـ ١٩٦٩م .
* تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ـ داود الأنطاكي(ت ١٠٠٨ هـ) ط الأزهرية، مصر ١٣٢٨ هـ .
* تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ـ شكري فيصل .
ط ٦ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢ .
* تهذيب التهذيب ـ ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني
(ت ٨٥٢ هـ). ط دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند ٢٥ ـ ١٣٢٧ هـ .

(ج)

* جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم : علي بن أحمد بن حزم الأندلسي
(ت ٤٥٦ هـ). تحقيق محمد عبد السلام هارون، ط دار المعارف ، مصر ١٩٧١ م .
* جمهرة الأمثال ـ العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل
(ت ٣٩٥ هـ). تحقيق عبد المجيد قطامش ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط القاهرة ١٩٦٤م .

(ح)

* الحب العذري ـ كامل الشيبي .
ط دار المناهل، بيروت ١٩٩٧م .
* الحب العذري نشأته وتطوره ـ عبد الستار الجواري .
ط مكتبة المثنى، بغداد ، دار الكتاب، القاهرة، د. ت .

* الحب في التراث العربي ـ محمد حسن عبد الله .
ط الكويت ١٩٨٠م .
* حديث الأربعاء ـ طه حسين .
ط دار المعارف، القاهرة ١٩٥٣ .
* الحماسة البصرية ـ البصري : صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ) . تحقيق مختار الدين أحمد، ط حيدر آباد، الدكن ١٩٦٤ م .
* حياة الحيوان ـ الدميري : كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ) . ط دار التحرير، القاهرة ١٩٦٥م .
(خ)
* خزانة الأدب ـ البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ) .
تحقيق محمد عبد السلام هارون، ط الخانجي، مصر ٨٦ ـ ٩٨٩١م .
(د)
ديوان توبة بن الحُمَيِّر ـ توبة بن الحمير (ت ٧٠ هـ) .
تحقيق خليل العطية، ط دار صادر، بيروت ١٩٩٨م .
* ديوان جرير ـ جرير بن عطية بن الخطفى (ت ١١٠ هـ) .
ط دار صادر، بيروت ١٩٦٠م .
* ديوان جميل بثينة ـ جميل بن معمر العذري (ت ٨٢ هـ) .
شرح أشرف أحمد عدرة ، ط عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦م .
* ديوان ذي الرمة ـ ذو الرمة : غيلان بن عقبة العدوي (ت ١١٧ هـ) .
تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م.

* ديوان ابن الرقيات ـ عبيد الله بن قيس الرقيات (ت ٧٥ هـ).
تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت . د. ت.
* ديوان عروة بن حزام ـ عروة بن حزام العذري (ت ٣٠ هـ) .
تحقيق انطوان القوال ، ط دار الجيل، بيروت ١٩٩٥م .
* ديوان قيس لبنى ـ قيس بن ذريح (ت ٦٩ هـ) .
تحقيق عفيف حاطوم ، ط دار صادر، بيروت ١٩٩٨م .
* ديوان كثير عزة ـ كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (ت ١٠٥ هـ).
تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٧١م . و ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٥م .
* ديوان مجنون ليلى ـ قيس بن الملوح (ت ٦٨ هـ) .
تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط دار مصر للطباعة، القاهرة .
* ديوان ابن ميادة ـ الرماح بن أبرد الذبياني (ت ١٤٩ هـ) .
تحقيق حنا جميل حداد ، ط مجمع اللغة العربية، دمشق١٩٨٢م .
* ديوان وضاح اليمن ـ عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال(ت٩٠ هـ).
تحقيق انطوان القوال، ط دار الفكر العربي، بيروت ٢٠٠٣م .

(ز)

* الزهرة ـ الأصبهاني : محمد بن داود (ت ٢٩٧ هـ) .
نشر لويس نيكل البوهيمي، ط بيروت ١٩٣٢م، وتحقيق إبراهيم السامرائي، ط مكتبة المنار، عمان ١٩٨٥م .

(ش)

* شرح ديوان الحماسة ـ الخطيب التبريزي : يحيى بن علي (ت ٥٠٢ هـ).
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، د. ت.

* شرح المفضليات ــ الأنباري : القاسم بن محمد بن بشار(ت ٣٠٤ هـ) .
بعناية كارلوس لايل، ط مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠م .
* شعر ابن الحدادية ــ قيس بن منقذ الخزاعي .
ضمن شعراء مقلون، ط عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٧م .
* الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
(ت ٢٧٦ هـ). ط ليدن ١٩٠٢م ، وتحقيق أحمد شاكر، ط دار
المعارف، مصر ١٩٦٦م .
* شعر عمرو بن شأس ــ عمرو بن شأس الأسدي (ت ٢٠ هـ) .
تحقيق يحيى الجبوري، ط دار القلم، الكويت ١٩٨٣م .
* شعر قيس ولبنى ــ قيس بن ذريح (ت ٦٨ هـ) .
شعر ودراسة، حسين نصار، ط دار مصر للطباعة، القاهرة د. ت .

(ط)

* طبقات الشعراء ــ ابن المعتز: عبد الله بن المعتز العباسي(ت ٢٩٦ هـ).
تحقيق عبد الستار فراج ، ط دار المعارف، مصر ١٩٧٦م .
* طبقات فحول الشعراء ــ ابن سلام: محمد بن سلام الجمحي(ت ٢٣١هـ).
تحقيق محمود محمد شاكر، ط المدني، مصر ١٩٧٢م .

(ع)

* العقد الفريد ــ ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي
(ت ٣٢٧ هـ). تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري،
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م .
* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ــ القيرواني:أبو علي الحسن بن رشيق
(ت ٤٥٦هـ).

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط بيروت ١٩٧٢م

(غ)

* الغزل في العصر الجاهلي ـ أحمد الحوفي .
ط مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٠ .

(ف)

* فحولة الشعراء ـ الأصمعي:أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ)
تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه الزيني، ط القاهرة ١٩٥٣م .
* الفهرست ـ ابن النديم : محمد بن أبي يعقوب النديم البغدادي
(ت ٣٨٠ هـ) . تحقيق رضا تجدد، ط طهران، د. ت .
* فوات الوفيات ـ الكتبي : محمد بن شاكر الحلبي (ت ٧٦٤ هـ) .
ط السعادة ، القاهرة ١٩٥١م .
* في الحب والحب العذري ـ صادق جلال العظم .
ط بيروت ١٩٦٨م .

(ق)

* قيس ولبنى ـ قيس بن ذريح (ت ٦٩ هـ) .
تحقيق حسين نصار، ط دار مصر للطباعة، د . ت .

(ل)

* لسان العرب ـ ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري
(ت ٧١١ هـ) . ط دار صادر، بيروت ١٩٦٨م .

(م)

* مجمع الأمثال ـ الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ) .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الفكر،بيروت ١٩٧٢م

* مروج الذهب ـ المسعودي : علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٥ هـ) .
ط دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢م .
* مصارع العشاق ـ السراج القاريء : جعفر بن أحمد بن الحسين
(ت ٥٠٠ هـ) . ط دار صادر، بيروت ١٩٥٨م .
* معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ـ الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي(ت ٦٢٦ هـ) .
تحقيق إحسان عباس، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م .
* معجم البلدان ـ الحموي : ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ)
ط دار صادر، بيروت ١٩٥٧م .
* معجم الشعراء ـ المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ).
تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط دار الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م .
* المفضليات ـ الضبي : المفضل بن محمد (ت ١٧٨ هـ) .
تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون ، ط دار المعارف، مصر ١٩٧٦م .
* المؤتلف والمختلف ـ الآمدي : أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى
(ت ٣٧٠ هـ).تحقيق عبد الستار فراج، ط الحلبي، مصر١٩٦١م .
(ن)
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) .
ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ٦٣ ـ ١٩٧٢ ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

(و)
* وفيات الأعيان ـ ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد(ت٦٨١ هـ).
تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢م .

obeikandl.com